وزارة التعليـم العالي والبحث العلمي
جامعة عمارثليجي بالاغواط
ميدان العلوم الإنسانية و الإجتماعية
شعبة العلوم الإنسانية

الموضوع

العلاقات التجارية و الثقافية لإقليم توات خلال القرن 18 م

مذكرة مكملة لنيل : الماستر الاكاديمي في التاريخ
تخصص تاريخ المغرب العربي الحديث و المعاصر

إعداد الطلبة:
- نجاة مريقي
- بن سعدة سهام

إشراف الاستاذ:
- كمال مايدي

السنة الجامعية
2014- 2015 م / 1435- 1436 هـ

قال الله تعالى: {يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أتوا العلم درجات} (المجالة/11)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: <<إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلمي الناس الخير>>(رواه الترميذي"2685")

محمد بن عبد الكريم المغيلي:

(دخلنا توات فوجدناها دار علم وأكابر فانتفعنا بهم و انتفعوا بنا).

كلمة شكر:

انطلاقا من الأثر"من لا يشكر الناس لايشكر الله"

نشكر الله ونحمده لأنه أمدنا القوة والصبر لإتمام هدا العمل

نتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذ مايدي كمال الذي تكفل

عناء متابعة هذا البحث منذ اقتراحه كفكرة إلى أن

استوى عوده.

كما نتوجه بخالص الشكر الى ابن عمي مريقي حمزة وذلك

لصبره ووقوفه معنا خلال مسار هذا البحث من خلال نصائحه.

كما نتوجه بالشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة الذين تفضلوا بمناقشة

هذا البحث.

كما نشكر أساتذة ومؤطري قسم التاريخ بجامعة عمار ثليجي

بالاغواط

الذين نكن لهم الإحترام و التقدير .

والى جميع من ساهم وكان عون لنا في بحثنا الى كل هؤلاء نهدي شكرنا.

إهـــــداء

الإهداء:

إلى والدي الكريمين الذين سخرا سبل الراحة لعملي

إلى كل من طعم عقلي بالعلم و قلبي

بالإيمان

إلى جميع أفراد عائلاتي كبيرا وصغيرا

الى جميع صديقاتي والى كل من يعرفني من قريب أو بعيد

<<رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي

أنعمت علي و على والدي وأن أعمل صالحاً

ترضاه و أدخلني برحمتك في عبادك الصالحين>>

نجاة

قائمة المختصرات

أ- العربية:

الرمز	معناه
ص	صفحة
ص ص	صفحات عديدة متتالية
ع	العدد
تح	تحقيق
تع	تعليق
تر	ترجمة
(د.ن)	دون دار نشر
(د.م)	دون مكان نشر
(د.ت)	دون تاريخ نشر
ط	طبعة
ت:	توفي ب:
ج	الجزء
ق	القرن
م	الميلادي

قائمة المختصرات

هـ	الهجري
درص	درهم ريال صغار

ب- الأجنبية:

Page.	p
Pages contun.	p-p
Sans date.	S.D

مقدمـــة:

يعتبر إقليم توات من الأقاليم الحضارية الضاربة في الصحراء، والتي كان لها دور كبير في التواصل وربط العلاقات بين الحواضر الإسلامية حيث اكتسى في بادئ الأمر أهمية تجارية باعتباره نقطة عبور هامة للقوافل التجارية القادمة من الشمال للجنوب، ومركز الحجيج القادمين من الجنوب مغرب الأقصى، ومن المهم معرفة أن هذه الخطوط والطرق التجارية كانت مصحوبة بحركة ثقافية وعلمية مثلها العلماء الذين قدموا مع التجار واهتموا بنشر الإسلام والعلم بمناطق الصحراء الكبرى، وقد حظي إقليم توات بالاهتمام الوافر من قبل العلماء والفقهاء حتى أصبحت حاضرة علمية ذاع صيتها في البقاع الإسلامية، فكانت ملجأ للعلماء وملتقى الزهاد والمرشدين.

رغم الأهمية التاريخية والعلمية التي شهدها الإقليم خلال ق18م إلاَ أن الكتابات التاريخية لم تنصفه حيث انضوى تاريخه في حقل النسيان، وظلت المخطوطات والمؤلفات لفترة طويلة حبيسة الرفوف الى أن التفت بعض الدراسات المؤرخين للدور الحضاري الذي مثله الإقليم، فبدأت الكتابات تلتف حول أهمية هذا الإقليم، غير أن تاريخ توات مازال دسما يحتاج جهد وعمل متواصل من طرف الباحثين.

أسباب اختيار الموضوع:

وهذا الأمر أهم أسباب اختيارنا للموضوع، وهو إبراز الدور الهام الذي مثله الإقليم في الصحراء الكبرى في نسج العلاقات التجارية في بلاد المغرب الإسلامي والسودان الغربي، ومحاولة رصد النشطات والحياة العلمية خلال القرن18م، لكنه يعد عصر النهضة والازدهار وهنا تكمن أهمية الموضوع في إبراز الدور الحضاري للإقليم من خلال دراسة العلاقات التجارية والثقافية لتوات خلال القرن18م والدور الذي برز فيه من خلال الفترة الحديثة.

إشكالية الدراسة: من خلال هذه الدراسة نريد تسليط الضوء على الإشكاليات التالية:

كيف كانت العلاقات التجارية والثقافية لإقليم توات خلال القرن18م؟ وتتفرع عنها عدة تساؤلات منها: -ما هي مميزات الإقليم الجغرافية والبشرية؟

-ماهي أهم الطرق التجارية العابرة للصحراء وما طبيعة هذه المبادلات؟

- ماهي الظروف التي ساعدت توات على جذب العلماء وإنشاء تواصل ثقافي مع الجوار؟

الهدف الدراسة:

الهدف من دراسة الموضوع هو إعطاء صورة تقيمية بعيدا عن الجانب السياسي الذي كثرت وتنوعت به الدراسات التاريخية، وذلك لإبراز تاريخ منطقة الجنوب الجزائري الذي يعاني القلة والتهميش في الدراسات التاريخية مبرزين دور هذا الاقليم في إرساء والمحافظة على الهوية العربية الإسلامية في الفترة الحديثة رغم التغيرات التي شهدها العالم خلال تلك الفترة وذلك من خلال دراسة الجانب التجاري والثقافي للمنطقة.

المنهج المتبع في الدراسة:

وللإجابة عن هذه التساؤلات اتبعنا المنهج التاريخي الذي يتسم بالتدقيق والموضوعية في سرد الأحداث، ثم تطبيق المنهج الوصفي لمعرفة العوامل والأسباب التي ساعدت في تطور العلاقات لهذه المنطقة خلال القرن18م مستندين على مخطوطات محلية ومصادر ومراجع للوصول الى معرفة الحقائق التاريخية الخاصة بالإقليم.

التعريف بأهم المصادر والمراجع المعتمدة:

ومن هذه المخطوطات والمصادر والمراجع التي ساعدتنا في إثراء الموضوع نذكر:

مخطوط الطاهري الإدريسي ومؤلفه "**نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات**" وهو مهم جدا في سرد تاريخ الإقليم من خلال ذكره لقصوره وزواياه وبنيته الاجتماعية وذكر بعض العلماء، أما عن أهم المصادر المعتمدة نذكر: أبو سالم العياشي في رحلته "**ماء الموائد**" ويعد من أهم المصادر التي درست الإقليم حيث يذكر أهميته التجارية من خلال القوافل الحجيج، وابن بابا حيدا وكتابه "**القول البسيط في أخبار تمنطيط**" يعد هو الآخر من أهم المصادر التي ذكرت جوانب تاريخية للإقليم والمراكز العلمية فيه تكمن أهميته في كونه من المصادر القليلة التي حققت من تراث

المنطقة، أما عن أهم المراجع المعتمدة نذكر:فرج محمود فرج في كتابه "**إقليم توات خلال القرنين 18م و19م**" ويعد أول مؤلف تطرق الى الحياة السياسية والعلمية والاجتماعية من عادات وتقاليد لأهل توات، أيضا كتاب "**التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن11هـ الى القرن14هـ**" لصديق الحاج أحمد، وقد ساهمت هذه المراجع بشكل كبير في إثراء الجوانب التجارية والثقافية للإقليم.

الخطة المعتمدة:

وقد فصلنا بحثنا هذا وفق المادة المتوفر الى ثلاث فصول، حيث كان الفصل الأول بعنوان لمحة عن إقليم توات وأدرجنا به ثلاث مباحث، المبحث الأول كان عن منطقة توات جغرافيا وذكرنا به الموقع الجغرافي لتوات و قصورها، المبحث الثاني عن الجوانب التاريخية للإقليم من التسمية والمصادر التاريخية المتحدثة عنه، والمبحث الثالث عن التركيبة الاجتماعية بذكر أهم القبائل والأنساب وإستقرارهم في قصور توات.

أما الفصل الثاني فبعنوان العلاقات التجارية لتوات خلال ق18م وقسمناه الى مبحثين، المبحث الأول درسنا فيه تجارة العبور وذكرنا فيه أهم مراكز التجارة، والمبحث الثاني عن التجارة الداخلية والخارجية وذكرنا به طبيعة المبادلات التجارية للإقليم.

أما الفصل الثالث فبعنوان العلاقات الثقافية لتوات خلال ق18م وبدوره أدرجنا به ثلاث مباحث إذ عالجنا في المبحث الأول الحركة الثقافية لإقليم توات ذكرنا فيه أهم الرحلات ودور علماء توات في السودان الغربي، والمبحث الثاني كان عن الزوايا والحياة الثقافية مبرزين أهم هذه الزوايا والطرق الصوفية في توات ومساهمة الزوايا في العلاقات الثقافية أما المبحث الثالث ذكرنا فيه علماء توات خلال القرن 18م.

الصعوبات:

لقد واجهتنا في بحثنا هذا صعوبات و هي تتعلق بالإقليم و المتمثلة في عدم اهتمام معظم المؤرخين و المهتمين بتاريخ المنطقة بدراسة الحياة التجارية و الثقافية للإقليم كانت تذكر كشكل نقاط عابرة دون تمحيص و عمق ، أيضا جل المادة المتوفرة لدراسات مثل هذه المواضيع لهذا الإقليم مخطوطة و هذا ما يصعب قراءتها و الوصول إليها ، و لكن حاولنا قدر المستطاع إبراز أهمية الإقليم الذي يحتاج إلى دراسات جد معمقة لإعطاء مكانته الطبيعية في العالم الإسلامي.

وفي الأخير نرجو أن نكون وفقنا الى حد ما في إيفاء الموضوع شيئا من حقه، والفضل يعود في إتمام هذا البحث الى الله عز وجل ثم الى توجيهات الأستاذ المشرف مايدي كمال.

الفصل الأول: لمحة عن إقليم توات

- المبحث الأول: منطقة توات طبيعيا وإداريا.
- المبحث الثاني: جوانب تاريخية عن إقليم توات.
- المبحث الثالث: التركيبة الاجتماعية.

إن امتداد منطقة توات ضمن نطاق المنطقة الصحراوية، أدى بها أن تكون ضمن المناخ الحار وقد انعكس العامل الطبيعي على الجانب السكاني من حيث العدد والتوزيع على قصور توات، ما جرُ ذلك لتقسيم طبقي داخل المجتمع التواتي نتج عنه نسيج اجتماعي في هذه المنطقة، وقد كان لكلمة توات عدة مصادر جعلت منها محل عدة دراسات وبحوث أخذت في شرح هذا المصطلح سواء من مصادر أو روايات حتى أخذت هذه الدراسات تحليل وتفسيرات بالبراهين لإثبات أصل كلمة توات وسنطرح تلك النظريات وندرس هذا الإقليم من ناحية طبيعية وإدارية وتاريخية.

I. المبحث الأول: منطقة توات طبيعيا وإداريا:

1) الموقع الجغرافي :

إقليم توات [1]مجموعة من واحات الصحراء الجزائرية الجنوبية الغربية مجموعها تالف مجموعها في إقليم عبور ما بين سفوح الأطلس الجنوبي و بلاد السودان[2]، يحدها من الشمال العرق الغربي وهضبة تادمايت، ومن الجنوب هضبة مويدير، ويشكل واد الساورة الطريق التجاري لإقليم توات، وتقع بين خطي الطول 4°غربا الى 1°شرقا وبين دائرتي العرض 26°-30° شمالا ينقسم إقليم توات الى ثلاث مناطق متميزة هي:تنجورارين،وتوات،وتيدكيلت[3].(أنظر الملحق رقم01ص73).

---

[1]- كلمة توات ورد ذكرها في بعض المصادر فذكرها السعدي بقوله :(وعلى موطن توات تختلف هناك كثير من أصحابه).انظر:عبدا لرحمن السعدي، **تاريخ السودان**، مطبعة بردين،1889، ص07. وأشار إليها ابن بطوطة في رحلته بقوله:(وصلنا الى بودة وهي اكبر قرى توات وأراضيها رمال و سباخ)أنظر:ابن بطوطة محمد بن عبد الله ،**تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، ج2،المكتبة التجارية ، مصر،1958، ص210.

[2]- يطلق السودان على جميع أقاليم شبه الصحراوية من إفريقيا التي انتشر فيها الإسلام، تمتد من جنوب صحراء الكبرى ومصر أي من المحيط الأطلسي غربا الى حدود حبشة شرقا، ينقسم السودان الى ثلاث أقسام:السودان الشرقي، والسودان الأوسط، والسودان الغربي. انظر: التونسي محمد بن عمر، **تشحيذ الذهان بسيرة بلاد العرب والسودان** ،تح:خليل محمود عساكر و مصطفى سعد ،مراجعة:محمد مصطفى ،ط1، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، 1965م،ص132.

[3]-فرج محمود فرج، **إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر وتاسع عشر ميلادي**،ديوان المطبوعات الجامعية والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر/1977م، ص01.

أ- تنجورارين:

وتدعى أيضا تيكورارين أو قورارة هي منطقة واسعة تقع شمال توات وبعيدة عنها بحوالي 120ميل شرق تسابيت[1] يحيط به العرق الغربي من الشمال و الشمال الشرقي، أما الجنوب فتحده هضبة تادميت، ومن الشرق الحوض الشرقي لواد الساورة ، وتوجد المنطقة في إقليم متشابه طبوغرافيا باستثناء بعض المنخفضات التي توجد بها قصور، والتي تقع في شمال المنطقة ويوجد بها سبخة تنجورارين الممتدة من الشمال الى الجنوب وبعض الأودية الجافة مثل:واد أمقيد[2]وواد صالح.

ب-توات:

تقع ما بين نهاية الهضبة العليا للقرارة التي تكون الحافة المقابلة له المسماة العرق الغربي فتوات العليا تبدأ من أعلى مقاطعة بودة[3] في النقطة التي ينحرف فيها واد مسعود باتجاه الغرب فيأخذ اتجاهه الأول من الشمال الى الجنوب ليصل الى ركان[4] وهذا الامتداد هو ما يسمى بمقاطعة توات الأصلية.

ج- تيدكيلت:

توجد تيدكيلت بين توات غربا و هضبة تادمايت شمالا، و هضبة مويدير جنوبا يخترقها وادي اقرابا

---

[1]- تبعد حوالي 250ميل شرقا و100ميل عن الأطلس.من قصورها:عريان الرس، وابركان، وحمادى، وعمور، ووجلان، و الاعياد، والمعيز، والهبلا، والسبع، سكانها فقراء فلا ينبت بأرضها سوى التمر القليل من الشعير. انظر:حسن الوزان، **وصف إفريقيا**، تر: محمد حجي، ط2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1983م، ص133.

[2]- هو امتداد لواد السفور ينبع من المنيعة ويتجه غربا حيث يتلاشى ويظهر من جديد باسم وادي شيدون وينتهي بالقورارة مكونا سبخة قورارة.انظر:فرج محمود فرج، **المرجع السابق**،ص01.

[3]- ذكرها ابن بطوطة بقوله:"وهي اكبر قرى توات وأرضها رمال وسباخ وتمرها كثرة ليس بطيب لكن أهلها يفضلونه على تمر سجلماسة"انظر:ابن بطوطة،المصدر السبق، ص ص120-211.

[4]-تقع قصوره على بعد 170كم الى الجنوب من ادرار في الطريق الرابط بين توات و السودان وفيها أجرى الفرنسيون تجاربهم النووية سنة1962.انظر:احمد العماري، **توات في المشروع التوسع الاستعماري الفرنسي بالمغرب**،رسالة ماجستير من جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس، كلية الآداب و العلوم الإنسانية،(د.م)،(د.ن)،1988م،ص34.

الذي يصب في وادي مسعود[1]نحو الجنوب الغربي، ولكل منطقة من المناطق الثلاث مميزات وصفات خاصة به، وتميزه عن غيره واختلف المؤرخين في تحديد المنطقة جغرافيا فالعياشي حددها من قرية عريان الرأس [2]بمقاطعة تسابيت حيث يقول:"هي أول عمالة توات"[3]، وحددت المنطقة في رحلة ابن بطوطة من بودة شمالا الى ركان جنوبا، وحددت نهايته بالضبط عند قصر "انتهت"[4]. أما بطرس البستاني فقد حده غربا بأعمال مراكش الجنوبية وشرقا بجبل باطن، أما جنوبا فالصحراء الكبرى[5].

1) **أ–حدود وتضاريس إقليم توات:**

باعتبار منطقة توات واقعة في مجال الصحراوي فان السمة الغالبة عليها هي استواء أرضها، فهي مسطحة الشكل تتألف من الرق و العرق والسبخة و الهضبة و الحمادة و الوديان. فالرق هو السهل مغطى بالحصى الجافة تنتشر منها الرمال لتكون العرق الذي هو عبارة عن رمال تمتد سهولها وكثبانها بين الغرب و السودان، وينطلق من المحيط الأطلسي الى النيل شرقا، وأشهر العروق عرق شيت وعرق ايكيدي و العرقان الشرقي والغربي، وتتخللهم هضاب صخرية أفقية الاتجاه تدعى الحمادة[6].

أما السبخة فهي عبارة عن بحيرة تتبخر مياهها صيفا وتتحول الى ضاية من الملح تسمى "الشط"و "سبخة"و "زاغز" وأهم سبخات توات سبخة تمنطيط[7] وسبخة تيمي وازل ماتي بجنوب ركان. كما

---

[1]– يتكون من اتحاد وادي كبير مع وادي زوزفانة عند فجيج يتجه نحو الجنوب وهناك يطلق عليه وادي الساورة ،يصل الى كرزازة ويغير اتجاهه نحو الغرب ثم يتجه نحو الجنوب ويطلق عليه اسم وادي مسعود ،عند وصوله الى تسفاوت يصبح سبخة. انظر:فرج محمود فرج، **المرجع السابق**، ص02.

[2]_ هو شيخ محمد بن صالح تلميذ الولي الشهير الصالح"سيدي أبي الرواين"دفين مكناس بالمغرب الأقصى. انظر:العياشي أبو سالم،**ماء الموائد**، ج1،مطبوعات دار الغرب للتأليف والترجمة والنشر،المغرب،1977م،ص20.

[3]– نفسه، ص20.

[4]– ابن بطوطة، **المصدر السابق**،ص801.

[5]– بطرس البستاني،**دائرة المعارف**، ج6،دار المعرفة،لبنان،(د.ت)،ص248.

[6]–عبد العزيز بن عبد الله، **الموسوعة المغربية للأعلام الحضارية والبشرية**،الرباط،1976م،ص ص118-119.

[7]– تمنطيط: اسم أعجمي مركب من اسمين وهما "تما" و"تط" ومعنى الأول النهاية التاء تمنطيط بإشباع الياء فأصبحت تمنطيط.وجاء في تقاييد خطية بيد الحاج عبد الرحمن البكراوي أن كلمة تمنطيط معناها في اللغة العربية حاجب العين،وتقع المدينة=

توجد بالإقليم بعض هضبات من أهمها هضبة تادمايت وهضبة الاقلاب التي ينبع منها وادي شناشن ويختفي في عرق شاش[1]وكانت توات في العصور الأولى بحيرة فكان بها المحارات والآثار البحرية،تمر بها الزوارق مابين تماديين الى بودة،ثم الى اوقرورت[2].

وتنتشر بتوات مساحات شاسعة مغطاة بالرمال، تعتبر تهديدا خطيرا للأراضي الزراعية والفقاراة والقصور، فزحف الرمال يؤدي الى إتلاف الأراضي وانسداد فوهات الفقاراة واندثار القصور التي هجرها أصحابها، كقصر أولاد ميمون الذي زاحمته الرمال من الجنوب[3]ولوقف زحف الرمال عمل أهل توات على صنع حواجز من جريد النخل تسمى "افراك" لحماية النخيل و الفقاراة و القصور.

وبالإقليم ثلاث أودية وهي :وادي مسعود الذي ينتهي بإقليم توات ووادي قاريت[4]بتيدكيلت ، وواد مقيدن بالقورارة. وتزخر توات بمياه جوفية كثيرة تسقى بها البساتين و الجنان،كما اهتم التواتيون بحفر الفقاراة والاعتناء بها لتوفير المياه اللازمة للشرب ولسقي المزروعات.

أما التربة فهي رملية صالحة للزراعة باستثناء بعض الواحات، التي عرفت الزراعة النخيل وبعض أنواع الحبوب كالقمح والشعير والدخن والذرة البيضاء ،ومختلف الخضر والفواكه، أما بالنسبة للنباتات فهي نادرة الوجود بسبب ندرة الأمطار ،لذا لا توجد بالإقليم إلا نباتات الشوكية القصيرة لمقاومة لارتفاع درجة الحرارة.كنبات البسط الذي ينمو غالبا على منحدرات العرق . وهو كلأ للغنم والجمال والبعير ، أما الشجيرات فهناك شجرة الفرسيق وهي متوسطة الطول تنمو على ضفاف سبخات والمناطق

=على بعد12كم من ادرار.ولها منزلة كبيرة عند جمع التواتيين لما اختصت به من كثرة اماكن الأولياء،انظر:محمد الطيب بن الحاج عبد الرحيم(ابن بابا حيدة)،**القول البسيط في أخبار تمنطيط**،تح:فرج محمود فرج،ديوان المطبوعات الجامعية المؤسسة الوطنية للكتاب،1977م،ص15.

[1]–عبد العزيز بن عبد الله،، المرجع السابق، ص151.

[2]– نفسه،ص153.

[3]– ابن بابا حيدة، **المصدر السابق**،ص17.

[4]– يأتي من الشمال الشرقي لمنطقة تديكلت ،يتجه جنوبها الغربي ويصل في النهاية بوادي مسعود ويصبح روافدا له.انظر:فرج محمود فرج،**المرجع السابق**،ص02.

الرطبة، إضافة الى نباتات أخرى كدراق و الاوراش وتبكلوت وغيرها ومع دائرة عرض 10°شمالا نجد حشائش سفانا[1].

1) ب –المناخ:

يسوده مناخ صحراوي يتميز بالجفاف و ارتفاع درجة الحرارة في الصيف وانخفاضها شتاءا، إذ تصل درجة الحرارة لغاية 50°درجة مؤوية[2]. أما تساقط الأمطار فهو قليل، لذا يعتمد أهل توات وتيدكلت واير و ورقلة وتبلبالت وتندوف على مياه الفقاراة، وهو ماذكره المؤرخ مولاي احمد الإدريسي الطاهري في"نسيم النفحات، في ذكر جوانب من أخبار توات" أشار الى كيفية المياه الباطنية حيث قال:"توات ارض سباخ كثيرة الرمال و الرياح،لايحيط بها جبال ولا أشجار شديدة الحرارة المفرطة،لايكاد ينبت فيها إلا النخيل وبعض الأشجار القليلة لفرط حرارتها والماء فيستخرجونه من باطن الأرض بالفقاقير بواسطة الآبار بكيفية عجيبة ويقسمونه على حقول بكيفية عجيبة"[3].

وسقوط الأمطار بغزارة في بعض الأحيان يؤدي لهدم البنايات والقصور لأنها من الطوب الذي يصنع من الطين والتراب، أما الأسقف والأبواب فتصنع من الخشب وسعف النخيل، بالإضافة الى هذا تهب رياح الجنوبية جافة تسمى"الشهيلي" تعرف محليا باسم"أريفي"، وكانت تتسبب في حدوث الزوابع الرملية، ووجد الصحراوي حلا في إيقاف تلك الزوابع وذلك عن طريف بناء الأفراك[4].

2) قصور توات:

يضم الإقليم عشر مقاطعات رئيسية وهي: بودة، وتيمي، وتمنطيط، وبوفادي، وفنغيل، وتماست،

---

[1] – محمد صالح حوتيه،**توات والازواد**،ط1،ج1،دار الكتاب العربي،الجزائر،2007م،ص ص46،47.

[2] – فرج محمود فرج،**المرجع السابق**،ص35.

[3] –نقلا عن: الصديق حاج احمد،**التاريخ الثقافي لإقليم توات من ق(11هـ–14هـ/17م–20م)**،ط1،دار الكتاب العربي،الجزائر/2003م،ص33.

[4] – بهية بن عبد المومن،**الحياة الاجتماعية باقليم توات خلال القرنيين الثامن عشر والتاسع عشر ميلاديين(من خلال نوازل الغنية للبلبالي)**،رسالة ماجستير،قسم الحضارة الإسلامية، وهران،2006م،ص6.

وزاوية كنتة، وسالي، والركان[1]، وانزجمير، وكل مقاطعة تحتوي على مجموعة من القصور والواحات.

أ- مقاطعة بودة:

وهي أولى المقاطعات التي تواجه الخارج من إقليم القورارة الى توات، تقع بواد مواز لواد مسعود، وتبعد بحوالي أربعين كم شرق قصور تيمي، تقع غرب مدينة ادرار [2]وتبعد عن مقر الولاية بحوالي ثمانية وعشرون كم، وتنقسم بدورها الى مقاطعتين بودة الفوقانية، وبودة التحتانية[3].

وتضم المقاطعة اثنا عشر قصرا سبعة منها ببودة الفوقانية وخمسة ببودة التحتانية، ومن أهم قصورها: القصبة، وغمارة، وأولاد يعيش، والغامريين، وأبار، وأولاد نجل، وابن درع[4]، وزاوية بن يلي، وودرار، وغرام علي[5]، والزاوية من أهم قصورها قصر المنصور دمرته قبائل بأحمد العربية.

ب-مقاطعة تيمي:

هي قلب الإقليم واكبر مقاطعاته، تعتبر مدينة ادرار عاصمة الإقليم ومركزه، بعدما كانت مدينة تمنطيط تحتل هذه المكانة، وقد عين السلطان المغربي الحسن الأول الشيخ حسون بن الحاج محمد قائدا

---

[1]- أبو فارس عبد العزيز القشتالي، **مناهل الصفا في مآثر مولنا الشرفاء**، تح: عبد الكريم، مطبوعات وزارة الأوقاف، الرباط،(د،ت)، ص73.وابن خلدون قدر عدد قصور توات بحوالي مائتين قصر.انظر:عبد الرحمن ابن خلدون، **كتاب العبر ديوان المبتدأ والخبر**،ط1،مج7،دار الكتب العلمية، لبنان،1992م،ص ص86-68.

[2]- كلمة بربرية معناها الجبل، وهي هضبة كبيرة قليلة كبيرة الارتفاع مقسمة الى قسمين بواسطة وادي عريض كبير ومنه يتفرع عدة أودية. وتوجد ادرار على بعد650كم جنوب شرق بشار، وهي منطلق القوافل التجارية نحو السودان تحمل إليه المنتجات الزراعية من التمر والتبغ وتعتبر قاعدة المقاطعة ونقطة عسكرية تتحكم في المواصلات التي تربط الشمال بالجنوب. عبد العزيز بن عبد الله ، **المرجع السابق** ،ص34.

[3]-محمد صالح حوتيه،**المرجع السابق**،ص32.

[4]- أطلق هذا الاسم نسبة الى بلاد درعا بالجنوب المغربي،وهي عمالة مدينة مراكش وكان قد قدم يهود درعا من عامر ودرعاوي للاستقرار بتوات فسمي القصر باسمهم. Jocob

Oliel.**les juifs au sahara**.**le Touat au moyen age**.parisCNRS Edition.S.D, p142

[5]- قصر قديم كان يقيم به اليهود،وقد تعرض للتخريب والتدمير.jocob oliel. Op cit.p142

على تيمي والقصور سنة(1309هـ/1892م)[1].تضم المقاطعة سبعة وثلاثين قصرا[2] منها:تنلان[3]، وورنية، وبوزان، وملوكة[4]،،وكوسام[5]،وباريع سيدي المهدي، باريع سيدي التاقي، باريع سيدي احمد، وباريع المرابطين، وزاوية كرزاز، وباريع سيدي ازور، واقديم، وعرك كرارة، واغداغ، وأولاد نقال[6] ،وأولاد ،وأولاد اوشن، وأولاد علي، وأولاد احمد، وبردان، وأولاد إبراهيم، وبني تامر، والمنصورية ،واقبور، وأولاد حفص، ومهدية، وأولاد عمور، وأولاد عيسى، وأولاد عرسة،وزاوية سيدي البكري[7]، وباعبدالله.

ج–مقاطعة تمنطيط:

تقع جنوب سبخة تيمي،وتبعد حوالي اثنا عشر كم عن ادرار وهي من مدن توات المشهورة اجتمع بها العلم والإمارة والرئاسة، واثر صراع ناشب بين القبائل العربية بين أولاد سلام وأولاد احمد، انتقلت العاصمة الى تيمي في نهاية قرن الحادي عشر هجري وسابع ميلادي، تضم المنطقة خمس عشر قصرا منها قصور أولاد الحاج المأمون، أنكير، بالحاج ثلاثة منها عبارة عن حصون متصلة فيما بينها[8].

---

[1]–عبدالعزيز عبدالله، المرجع السابق،ص75.

[2]–محمد صالح حوتية، **المرجع السابق**،ص33.

[3]–تقع شمال مدينة ادرار،وتبعد عن مقر الولاية ب2كم،أسسها احمد بن يوسف التنلاني عام (1058هـ/1648) وبها زاوية مشهورة"رزق الله الواسع لعباد النافع"وتنلان الحديثة.والأولى اندثرت وتفرق سكانها اثر هجمات وغزوات الرحل عليها.انظر:الصديق حاج احمد،**المرجع السابق**،ص85.

[4]–تقع غرب مدينة تمنطيط وتبعد عنها ب5كم برزت في منتصف القرن12هـ/18م فأصبحت مركزا علمي وحضاري،من أشهر علمائها الفقيه القاضي محمد بن عبد الرحمن البلبالي وأبه عبد العزيز.انظر:فرج محمود فرج،**المرجع السابق**،ص15.

[5]–سطع نجمها مع نهاية ق13هـ/19م وأصبحت مركز تجاري حضاري بفضل الشيخ سيدي عبد الله بن احمد الحبيب البلبالي المولود بملوكة سنة1250هـ/1834م.انظر:الصديق الحاج احمد،**المرجع السابق**،ص93.

[6]– تقع جنوب ادرار،واشتهر هذا المركز بفضل الشيخ سيدي محمد بن عبد الله الدغاغي الو نقالي(1140هـ-1175هـ/1727م-1761م) .انظر:الصديق الحاج احمد، المرجع السابق، ص112.

[7]–زاوية سيدي البكري: تقع شرق تيمي، اشتهرت بفضل الشيخ سيدي محمد بن البكري بن عبد الكريم مؤسس الزاوية البكرية، وسكان الزاوية من الأشراف الأدارسة.انظر:نفسه، ص106.

[8]–محمد صالح حوتية، **المرجع السابق**،ص33.

د–واحات بوفادي وامقيدن:

توجد غرب تمنطيط، ومن بينها قصور توكي،والقصر الكبير، وبنكور، ونمناس.

هـ–قصور فنغيل:

قصور تافسة، وواعباني، والعلوشة، وودغة، وينهمي، وعزي، والمنصور، ومكرة[1]..، وقصبة أولاد مولاي حسن، وأولاد برشيد، وقصبة الأحرار، وقصبة اولاد مولاي بوفارس، وزاوية سيدي عبد القادر، وزاوية سيدي يوسف.

و–مقاطعة تامست:

تضم قصر باعمر، وقصر اولاد بويحي الفوقانية ، وقصر أولاد يحي التحتانية، وقصبة جديد، و اولاد عنتر، وتمالت، والأحمر، واكيس، وتمسخت أو تمزغنت، واغيل، وادرار، وتيطاف.

ز–مقاطعة سالي:

تضم قصور الزَوا، وبوانكي، واعرملال[2].

ح–مقاطعة انزجمير:

تقع المقاطعة جنوب ادرار بالمنخفض الأيسر لواد مسعود، وتلقب بتوات الحنة لإنتاجها الوفير لورق الحناء، تضم ثلاث عشر قصرا من بينها: زاوية بلال، وتمادين، والخلفي، وتطوان، والخرس، والتيلوين، وتبنورت، وأولاد باح، وانزكلوف، وتمدنين، وابريش، وزاوية محشف، واهمها قصور انزجمير[3].

ط–مقاطعة اولاد سيدي حم بن الحاج اوقصور كنتة:

جميع قصور هذه المقاطعة تقع على الضفة اليسرى لواد مسعود، وتضم حوالي ست عشرة قصرا [4]،

---

[1]–قصر قديم هجم عليه قبيلة عريب من العرب سنة1016هـ/1607م وخربوا واحات كثيرة بتاسفاوت بتيمي منها ودغاغ وعزي.انظر:عبد العزيز بن عبد الله،المرجع السابق،ص202.

[2]–مقاطعة تقع جنوب ادرار وتبغ مساحتها 16683كم مربع.انظر:الصديق الحاج احمد، المرجع السابق،ص34.

[3]– محمد صالح حوتية، **المرجع السابق**، ص34.

[1]، منها:غزماين، وتورين، والبيض، والزاقلوا، وأولاد الحاج، والبرج، وزاوية كنتة، وتيركانت، والمناصرة، وتزلت، وزاوية سيدي بن عبد الكريم، وعلي، وتطوان، والشرفاء، ومكير، والمحفوظ، وأدمر وتخفيفت[2].

ي–الركان:

آخر مقاطعات توات تقع بين أقصى جنوب توات وجنوب سالي وتضم حوال خمس عشرة قصرا منها: قصر ايت مسعود، وتنولفات، وتعرابت، وانتهت، وتاوريت، وقصر تيماداين[3].

II. المبحث الثاني: جوانب تاريخية عن توات

لقد تعددت واختلفت أراء المؤرخين حول تسمية توات فمنهم من أوجد لها تفسيرا تاريخيا، فحين ذهب البعض الأخر لإيجاد منفذ ومخرج لغوي لأصل الكلمة توات، فذكر عبد الرحمن السعدي إن أصل الكلمة من منطقة تكرور[4]،فالسلطان "كنكان موسى "حاكم مالي[5]لما حج مر بإقليم توات فأصاب الكثير من أصحابه مرض يأتي في الأرجل يسمى توات في لغة السنغالي، ولما استوطنوا ذلك الموضع سمي باسم تلك العلّة[6].

---

[1]–الصديق الحاج احمد، **المرجع السابق**، ص123.

[2] –توجد بمقاطعة أولاد سيدي حم بن الحاج(زاوية كنتة)كان يقيم بها اليهود ثم انتقلوا الى تمزغت احدى قصور تماست، وهي من اقدم مراكز اليهودية وبجانبه يوجد تزلت وهي انقاض مركز اليهود البربري عتيق . انظر:عبد العزيز بن عبد الله،**المرجع السابق**، ص61.

[3]–عبد العزيز بن عبد الله، المرجع السابق،ص34.

[4] –تكرور: تعني سكان دولة التكرور أو تكارنة أو الدكانة القديمة في غرب إفريقيا التي نشأت في ق3هـ/9م وهو إقليم الغربي من جنوب السودان يضم مدينة كانو وكاشنا وتومبوكتو.انظر:الطيب عبد الرحيم الفلاتي، **الفلاتة في إفريقيا ومساهماتهم الإسلامية والتنموية في السودان**،ط1،دار الكتاب الحديث، بيروت،1994م،ص275.

[5] –تقع ببلاد السودان الغربي يحدها شرقا بلاد برونو، أما غربا فالمحيط الأطلسي، وشمال جبال البربر، تتكون من خمسة أقاليم وهي:مالي،صوصو،غانا،كوكو،تكرور.سميت مالي وبلغة البربر ميلت،وبالعربية ميل،لغة هاوسا بوان جارا وحاليا تشمل مالي الحالية واعلي سنغال الشرقي وشمال فولتا العليا والداهومي وجنوب الأقصى من موريتانيا.انظر:الدالي الهادي مبروك،**التاريخ السياسي والاقتصادي لافريقيا فيما وراء الصحراء**، الدارالبنانية والمصرية، مصر لبنان،1999م، ص50-51.

[6] –عبد الرحمن السعدي، **المصدر السابق**، ص07.

أما عبد الرحمن الرصاع ذكر اسم لأحد بطون قبائل الملثمين، إذ قال:"والملثمون هم قبائل الصحراء بالجنوب،عرفوا بهذا الاسم يتلثمون بلثام ازرق،ومنهم طوائف التوارق ولمطة ولمتونه وتوات"[1].

أما محمد بن مبارك قال:"أن أصل الكلمة أعجمي وقد أطلقتها قبائل لمتونه[2]عند مالجأت الى إقليم توات في منتصف القرن السادس هجري الثاني عشر ميلادي"[3].

أما محمد بن عمر صاحب مؤلف "نقل الرواة عن من أبدع قصور توات"يرى أن أصل التسمية يرجع لعهد الفتح الإسلامي حين فتح عقبة بن نافع المغرب وبعد وصوله الى توات سنة 62هـ/681م سال إذا ما كانت المنطقة تواتي لنفي العصاة فاجبوه بأنها تواتي فانطلق اللسان لذلك[4].وقيل أيضا بأن الاسم مشتق من الأتوات التي كانت تدفع للموحدين وهو مايرجحه حوتيه في كتابه[5].

ومن بين المؤرخين الذين حاولوا إيجاد تفسير لغوي لتسمية توات المؤرخ الفرنسي" مارتن "ذكر بان أصل التسمية يعود الى مفردة (وا:Oa) التي توجد في عدة لغات كالعربية والإغريقية، وقد وجدت هذه المفردة لدى الزناته، وهي تعتبر لغوي أضيف إليه حرف التاء في المقدمة وفي المؤخرة فصارت توات[6].

كما أن صاحب مخطوط "درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام"سيدي محمد عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي، هو لآخر اوجد للفظ توات مستندا لغوي بالمعنى التوات، وهو من الفواكه والجمع"اتوات" لذا عرفت البلاد بأهل الاتوات وبعد حذف التعريف والمضاف صارت "توات" والذي

---

[1] –عبد الرحمن الرصاع،**فهرست الرصاع**،تح وتع: محمد العنابي،المكتبة العتيقة،تونس،196م،ص127.

[2] –مجموعة كبرى من قبائل البرانس الصنهاجية من بينها لمتونه وجدالةومسوفة، وكانت مواطنها الأصلية الصحراء الكبرى بين المغرب والسودان الغربي.انظر:الطيب سليمان،**موسوعة القبائل العربية**،ط2،ج1،دار الفكر العربي،مصر،1997،ص02.

[3] – نقلا عن:فرج محمود فرج، **المرجع السابق**،ص02.

[4] – نقلا عن: الصديق الحاج احمد، **المرجع السايق**،ص27.

[5] –محمد صالح حوتية،**المرجع السابق**،ص38.

[6]-Jocob Oliel.op.cit.P135.

يدل على المنطقة الممتدة جغرافيا من تبلكوزة الى عين صالح، أما تاريخ اعمارها فيرجع الى ماقبل الإسلام وكانت تسمى بالصحراء القبيلة ثم كثر عمرانها بعد جفاف نهر قير[1].

ومن خلال ما سبق ذكره يتضح أن أصل كلمة توات شمل عدة تفسيرات ومعان متباينة، منها ماكان تاريخي ومنها ماكان تفسيرا لغويا محضا فالبنسبة للرواية التي جعلت التسمية مرتبطة بالاتاواة مرفوضة لأن توات أدت المغارم لجميع الدويلات القائمة بالمغرب. كما أنه لو كل إقليم أدى التاواة لدولة ما سمي بتوات لتعدد هذا الاسم وانتشر في سائر أقطار والأقرب الى الصواب هوما ذهبت إليه الباحثة بن عبد المؤمن بهية أن أصل الكلمة بربري،لأن أول من قطن بالمنطقة البربر الذين قاموا بتخطيط القصور التي حملت أسمائهم الى غاية اليوم رغم التعريب الذي مس الإقليم[2].

1) إقليم توات من خلال المصادر التاريخية:

جاء إقليم توات وذكر أهمية الإقليم في المصادر الجغرافية والتاريخية وكتب الرحالة كابن بطوطة الذي كتب عنها بعض الصفحات للتعريف بمقاطعة بودة[3].حيث أشار في كتابه بان التمور التواتية ذات نوعية جيدة يتهافت على اقتنائها تجار الشمال والسودان على حد سواء فقد كانت التمور التواتية تستقدم من توات وورقلة وتصدر الى بلاد السودان ،مما جعل التجارة تزدهر بالمنطقة وتجعل من توات همزة وصل بين الشمال والجنوب والنخل لايعطي مردودا كاملا من التمر إلا مرة كل سنتين أو ثلاث سنوات وتنضج التمور الجيدة في البداية الموسم وأخره والظاهر أن ابن بطوطة زار توات خلال موسم كان فيه التمر غير جيد[4].

وعدد ابن خلدون قصور توات بمائتين حيث قال:"وطن توات به قصور كثيرة تناهز المائتين أخذة من

---

[1]- محمد صالح حوتيه،**المرجع السابق**،ص38.

[2] -بهية بن عبد المؤمن،**المرجع السابق**،ص ص201 -211.

[3] - ابن بطوطة، **المصدر السابق**، ص ص210-211.

[4] -بهية بن عبد المؤمن، **المرجع السابق**،ص08.

الغرب الى الشرق، وأخرها من جانب الشرق يسمى تمنطيط وهو بلد مستنجز العمران، وهو ركاب التجار المترددين من الغرب الى بلاد مالي من السودان" واخبرنا عن الزرع أهل توات الذي يتمثل في التمر والفواكه"واتخذوا بها جنات من النخيل والأعناب وسائر الفواكه"[1]

وتحدث عن مقاطعة بودة باعتبارها واحدة من الطرق المؤدية الى بلاد السودان الغربي فقال:"ولقد كانت بلد بودي وهي أعلى تلك القصور بناحية المغرب من ناحية السوس في الركاب الى الاتن الثغر الأخير من أعمال مالي، ثم أهملت لما صارت الأعراب من البادية السوس من أعلى تمنطيط"[2].

وذكر العياشي أن بتوات أنواع كثيرة من التمر رخيص الثمن جل سكانها من العامة حيث قال:"ودخلنا أول عمالة توات وهي قرى تسابيت، وزرنا بأول القرية منها قبر الولي الصالح سيدي محمد بن صالح المعروف بعريان الرأس وقمنا بها ستة أيام وبعنا بها خيلنا وضعف من إبلنا ، واشترينا ما نحتاجه من تمر وبها أنواع كثيرة، ووجدنا التمر بها رخيص، ولم نلقى هناك احد ينتسب الى ولاية او صالح ولا من أهل العلم والفلاح، وغالب أهلها عوام أهل تجارة جل عيشتهم التمر"[3].

أما حسن الوزان فقد وصف كل من مقاطعة تسابيت وإقليم تيكورارين لكنه لم يتطرق الى توات الوسطى وذكر أهم مدنها[4].

ولقد اهتم المؤرخون التواتيون بإقليم فكتبوا عن أهمية الجغرافيا، والاقتصادية، وتطرقوا الى وصفه وذكر مناقب العلماء، فجاء في كتاب"درة الأقلام"لمحمد بن عبد الكريم البكري:"أن توات هي صحراء في أعلى المغرب ذات نخيل وأشجار وعيون، بينها وبين سجلماسة ثلاثة عشر يوما جوفا، وغربا عشرون يوما لأول السودان، ومن غدامس عشرون يوما، ومن بلاد الزاب عشرة أيام شرقا، ومن ناحية اولاد سيدي عيسى مقدار أسبوع إسراعا لبلد الأبيض سيدي شيخ، وعدد قصورها في القرن

---

[1] -عبد الرحمن ابن خلدون،**المصدر السابق**،ص86.

[2] -**نفسه**،ص68.

[3] -العياشي،المصدر السابق،ص20.

[4] -حسن الوزان، المصدر السابق، ص ص133-143.

الحادي عشر مائتا قصر.أوسطها بودة وتيمي وتمنطيط"[1].

كما عرف صاحب "القول البسيط في أخبار تمنطيط"محمد الطيب بالمنطقة وعدد قصورها وفقاراتها، وأشاد بكرم أهلها، فقال عن تمنطيط:"أنها قاعدة اجتمع فيها العلم و الإمارة والديانة الرئاسة، وانتصب بها الأسواق والصنائع والتجارات والبضائع، وكاد لايستغني عنها غني ولا زاهد ولما فيها من الدين والبركات والنافع والحجات، فهي مورد الركبان ومحشر العربان ورئيسة البلدان.... ويقال بها ثلاث مائة وستون فقارة، منها هو جار الآن ومنها ماهو معطل قيل، وقصور عددها كذلك ثلاثة مائة وستة وستون قصر.يستضيف فيها الضيف سنة كل يوم في قصر"[2].

كما ذكرها كل من الرحالة ابن الدين الاغواطي(ت13ه/19م)الذي زار مناطق عديدة داخل وخارج الوطن، والرحالة الألماني جيرها رد رولف (Gerhard Rolf)الذي زارها سنة 1281ه/1864م. ومارتن صاحب كتاب "الواحات الصحراوية"و"أربعة قرون من التاريخ المغربي"[3].

III. المبحث الثالث :التركيبة الاجتماعية

يقدم لنا الشيخ محمد الطاهري مخطوط "نسيم النفحات" وصف لسكان توات فيقول[4]: "الفصل الأول ذكر سكان توات وهم أربعة أقسام الشرفاء والعرب والمرابطون والموالي ولغتهم العربية الدارجة ودينهم الإسلام وعقيدتهم الاشعرية ومذهبهم مالكي وطريقتهم جنيدية (الشاذلية)،ويغلب على سكان توات سمرة البشرة وهذا راجع لأشعة الشمس "وعلى وجه التفصيل ذكر "الطيب بن عبد الله بن سالم البلبالي"، انساب تيمي وهي[5]:

واينة:عوامهم ينسبون لأهل برينكان وشرفائهم من الهبلة ويرجع نسبهم لتافيلالت.

---

[1] – نقلاعن:الصديق الحاج محمد،المرجع السابق،ص33.

[2] –بابا حيدة، **المصدر السابق**،ص33.

[3] –سعد الله أبو القاسم،**أبحاث وراء في تاريخ الجزائر**،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1982م،ص ص 256-258.

[4] – احمد الطاهري،**نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات ومن دفن فيها من الأولياء الصالحين والعلماء التقات**،مخطوط بخزانة المدرسة الطاهرية بسالي،ادرار،ص24.

[5] – محمد صالح حوتية،**المرجع السابق**،ص26.

ميمون:ينسبون لمولاي يعقوب بن منصور بفاس.

ملوكة:ينسبون لبلبالةو أبناء أعمامهم بكوسام.

بربع:عوامهم ينسبون لأولاد باحم إخوانهم بعين صالح وشرفائهم بتافيلالت وأولاد محمد.

أقديم:هم شرفاء من تافيلالت.

ادغا: أن عوامهم من أبناء الحاج عباس دوي منيع،والعبوبين من تونس،وأولاد سيدي حم من غات.

اولاد أنقال:وإنهم أعراب ينسبون الى الهقار.

اولاد اوشن:وان عوامهم ينسب بعضهم للحاج محمد لوهراني وبعضهم ينسب الى غنوم وشرفائهم أحفاد لمولاي سليمان بن علي.

اولادعلي:هم ينسبون لمولاي سليمان الحوت بتلمسان إخوانهم أهل تاله وقنتور وكالي تينجورارين[1].

اولاداحمد:هم عرب البكدال الان.

تاريدالت:هم شرفاء من تافيلالت بليفيتين نزلوا على الشيخ علي القنتورثم اندثروا.

اولاد إبراهيم:ينتمون الى اولاد دليم اخوانهم اولاد يحفص وأولاد بن أب من ساحل.

اولاد عروسة:ينسبون الى سيدي احمد العروسي مع سكان اولادعيسى.

اولاد عيسى:بعضهم شرفاء ينحدرون من سيدي سليمان بن عمر من فاس وبعضهم اولاد سيدي احمد العروسي من الساقية الحمراء من الساحل.

بني تامرت:ينسبون للشيخ موسى الاقبوري والبعض لبني محمد ولأولاد باحم.

زاوية سيدي محمد بن البكري: ينسبون الى بني عامر وإخوانهم بتوقرت من عمالة الجريد وولاته من ارض تكرور وهم من الشرفاء المرنيين.

المنصورية: ينسبون الى شيخ موسى الذي عمر أقبور وهم من الساحل[2].

---

[1] -فرج محمود فرج،**المرجع السابق**،ص ص32،33.

[2] -محمد صالح حوتية ، **المرجع السابق**،ص28.

يذكر صاحب "نسيم النفحات" انساب أهل توات السفلى نأتي على ذكر بعضها فيما يلي:

تيلولين: ينحدرون الى ذرية عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وجدهم محمد بن أبي زيان وكل أهل هذي القرية من أصل واحد إلا جماعة قليلة من شرفاء سالي يقال لهم الذهبيون نسبة الى جدهم مولاي محمد الذهبي.

زاوية بلال: وهم مرابطون.

وعزين:وهم جعفريون.

انزجمير:وهما قصران:قصر يسكنه العرب وقصر يسكنه المرابطون من ذرية سيدنا أبي أيوب الأنصاري البخاري[1].

بوعلي:ينتمي سكانها الى البرامكة.

زاوية كنتة:مرابطون يرجع أصلهم الى بني فهر من العرب.

اولاد الحاج: ينسبون الى أجواد العرب.

تيوريرين:سكانها شرفاء محمديون علويين.

أيكس:ينسبون الى العباس بن عبد المطلب عم الرسول صلى الله عليه وسلم.

تمنطيط: بها اولاد سيدي البكري وأولاد موسى قيل نسبهم يرجع الى سيدنا إدريس.

الهبلة:سكانها من الشرفاء العلويين وجدهم يقال له مولاي علي بن بوبكر.

تسابيت:يسكنها عرب أفاضل كرماء ومرابطون وبها شرفاء الموالي.

أوقرت:وهي عبارة عن مجموعة من القصور الكثيرة يسكنها مزيج من الناس من عائلات وجماعات من الشرفاء ومرابطون وعرب وموال.

[1]- احمد الطاهري، **المصدر السابق**، ص ص104-105.

أما اقليم تنجورارين يذكر صاحب "نسيم النفحات"ذكر أصول بعضهم ومن ذلك قوله:"ومنهم أبناء الحاج قاسم...سكانهم الأصلي كان متليلي وانتقل الحاج محمد الى تيميمون وأقام بها.."[1].

وعلى الجملة فأهل تينجورارين خليط من الأشراف والمرابطون والعرب وأكثرهم قبائل مختلفة الأنساب منها الزناته ومنهم العرب.

الزناتة:

يسكنون في منطقة تينجورارين منذ أقدم العصور[2] كانوا ينتقلون بين الجبال الزاب ومنطقة بسكرة ووادي الريغ كما كانت لهم علاقة مع سكان صحراويين ثم نزحوا نحو الجنوب فاستقروا بواد اميقدن ثم نزحوا الى تنجورارين وعند سقوط الدولة العبيدية، استقروا نهائيا وأسسوا قصور نذكر منها:بني ملوك، بني هلال، وأولاد راشد.

المحارزة:

ارتبطت هذه القبيلة باسم علي بن مسعود الذي قدم الى الجزائر من بلاد تونس رفقة الشيخ معمر بن سليمان المعراج أبي العالية الذي استقر باربعها خلال القرن السابع أو الثامن هجري، أما علي بن مسعود المحرزي، استقر بمنطقة تينركوك بعدما أمره شيخه بذلك وكلفه بنشر العلم في المنطقة وقد تزامن ذلك مع وجود الشيخ احمد مرفوع.

تعتبر منطقة تينركوك مكان تمركز هذه القبيلة بالإضافة الى قصر حمو وتزليزة وزاوية الدباغ وفاتيس وقد أسسوا هذه القصور سنة 102هـ[3].

الخنافسة:

ينتشرون في منطقة الممتدة مابين اوقروت وكبرتن منذ القرن الثاني عشر ميلادي يتواجدون في قصر

---

[1] – احمد الطاهري، **المصدر السابق** ،ص133.

[2] –انظر:ابن خلدون، **المصدر السابق**،ج6،ص245.

[3] –محمد صالح حوتية، **المرجع السابق**، ص36.

تبلكوزة وتنعطاس وزاوية دباغ واغيات والحاج قلمان واولادعايش[1].

الزوي:

ارتبطت باسم سليمان بن أبي أسماحة وذلك سنة(897هـ/1477م) وهي التي توفي بها سيدي سليمان في تنجورارين ومنذ هذا التاريخ ارتبط بالمنطقة نذكر منها:

سيدي عبد القادر بن محمد الذي ارتبط بالمنطقة وأولاد سعيد وتبلكوزة زاوية الدباغ ثم تبعه الحاج أبي حفص الذي درس عند الشيخ الحاج أبي محمد وتنتقل بين اوقروت وعين صالح حيث انشأ زاوية له وتوجه الى البقاع المقدسة وبعد رجوعه سنة(1133هـ/1720م) أنهى مهمته ابنه محمد بن بحوص الذي استقرا بالمنطقة وأسس: قصر الزاوي وانتشر أبناؤه الأربعة: بحوص، وزيان، ودحمان، والطالب بالقصور المجاورة وأعادوا بناء قصر مولاي هيبة باولف[2].

الشعانبة:

نزلوا بإقليم متليلي سنة(751هـ/1350م) ينتمون الى ثامر بن تلال وتعتبر الصحراء الرملية امتدادا لنفوذهم ولقد انقسموا الى ثلاث أقسام[3]:قسم توجه الى ورجلان واستقروا بها بقيادة بوربة، قسم ثاني توجه الى المنيعة واستقروا بها تحت قيادة المحادة وأولاد يش .

أما من استقروا بمتليلي يطلق عليهم اسم البرازقة وقد جاءوا الى اقليم تيدكيلت تنجورارين عن طريق القوافل التجارية التي كانوا يقودنها الى هذه المناطق وتذكر الرواية التاريخية أن شعانبة ارتبطوا تنجورارين عن طريق احد أعيان سيدي عثمان أما حفر فقارته المغير او انه ساعده في إعادة مياهها بعدما سقطت حجرة وأوقفت ماء فقارة النغيز عن جريانها فأعانه على تكسير الحجرة وجلب مياهها دون أن يأخذ نصيبه من الماء فدعا له بالخير وأعطى له الأمان له ولقبيلته بان يسكن بجواره.

---

[1] – فرج محمود فرج،**المرجع السابق**،ص36.

[2]– Louis Voinot. « **le Tidikelt étude sur la géographie l'histoire et le mœurs du pays** » .Bulletin de société de géographie et d'archéolegie de la provience d'Oran (s .d)..PP204-206.

[3] –محمد صالح حوتيه، **المرجع السابق**،ص37.

ويتركز الشعانبة في تنجورارين بزاوية الدباغ وتيميمون والعرق والمطافة، أما اقليم توات فيتمركزون بتسابيت وبوعلي ونفيس ورقان، أما تيدكيلت فيتواجدون باولف و عين صالح[1].

مما سبق نستنتج:- أن لإقليم توات العمق الإستراتيجي للجزائر في إفريقيا، حيث تربط الصحراء بالحواضر المحيطة بها خاصة مع السودان الغربي، وبحكم هذا الموقع أدى لازدهار حضاري واقتصادي، تكيفت معه تركيبتها السكانية .

- رغم تعدد واختلاف المؤرخين حول أصل تسمية توات وإرجاعها لتفسيرات تاريخية ولغوية، إلا أن الراجح أن أصل التسمية هو بربري لكونهم أول من قطن بالمنطقة وأعطى تسميات لقصورها أي قبل خضوعها لأي دولة وبذلك نفند الدراسات التي ربطت التسمية بالاتاواة.

- لقد كان لهذا الإقليم أهمية كبيرة منذ الفتح الإسلامي ولذلك نجد الكتابات التاريخية سواء المغاربية أو المشرقية تحدثت بإسهاب عن هذا الإقليم وهذا ما يؤكد أن هذه المنطقة رغم قساوة الطبيعة إلا أنها شكلت منطقة تجمع سكاني كبير من جميع الطبقات والأصول العرقية وهذا هذا ما أكسبها قيمة تاريخية.

[1]- احمد الطاهري، **المصدر السابق**، ص106.

الفصل الثاني: العلاقات التجارية لوات خلال ق18م

- المبحث الأول: تجارة العبور.

-المبحث الثاني: التجارة الداخلية والخارجية.

شكلت منطقة توات وعلى مر التاريخ دورا هاما في مد جسور التواصل بين مدن الشمال والجنوب، أهلها لذلك الموقع الاستراتيجي الهام الذي تتوسط فيه كبريات العواصم التجارية والعلمية أنذاك، بالإضافة الى نشاط الاقتصادي الداخلي المميز.وذلك لما كانت عليه الأوضاع السياسية في الإقليم فقد عرفت الحياة السياسية بتوات خلال القرن 18م عدم خضوع الإقليم الى حكم الدولة العثمانية رغم سيطرتها على شمال الجزائر وبعض أجزاء الصحراوية، لتتمكن الدولة السعدية التي قامت خلال القرن16م بتوحيد المغرب الأقصى تحت سلطتها تصويب أنظارها نحو توات وحاولت ضمه[1]، ويرجع اهتمام هذه الأخيرة للعامل الاقتصادي لموقعها المحاذي للقوافل التجارية جعل منها منطقة عبور هامة وملتقى للقوافل التجارية ومركز للتبادل غير أنها كانت تابعة اسميا لحكومة المخزن لكن الحكم في المنطقة يعود لشيوخ أكبر المقاطعات حيث كان شيوخ تمنطيط يمثلون ذلك ثم جاء بعدهم شيوخ تيمي بعد أن أصبحت من أقوى المقاطعات التواتية خلال ق18م[2] ليصبح بذلك الإقليم يدفع الإتاوات والجبايات والمشاركة في البيعة لحكومة المخزن دون التدخل في شؤون الداخلية للمنطقة مما جعلها بعيدة عن التوترات السياسية الحاصلة بين الدولة العثمانية وحكومة المخزن ويكسبها ذلك صفة ارض الأمان ويجعل منها منطقة هامة في التجارة العابرة للصحراء وفي هذا الفصل سنتاتي على ذكر الجانب التجاري لمنطقة توات.

I.المبحث الأول:تجارة العبور

لقد شكلت القوافل التجارية لإقليم توات في مسارها عن محاور أساسية عبر الزمن، فقد كانت منطقة توات في تلك الفترة منطقة جذب للتجار. يذكر العياشي:"أن الكثير من الحجاج قديما، لما غلا صرف الذهب في تافيلالت أخروا الصرف الى توات لأن الذهب بها أرخص، و كذلك سعر

[1]- محمد باي بالعالم، **الرحلة العلية الى منطقة توات** وذكر الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من جهات، ج1، دار الهومة، الجزائر،2005م، ص ص44-45.

[2]- فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص27.

القوت من الزرع والتمر، وهذه البلدة في مجمع القوافل"[1] ويقصد هنا أن تجار كانوا يؤخرون صرف أسعارهم التي يأتوا بها من السودان وذلك لزيادة عملاتهم في توات كون سعر الذهب كان بها ارخص

أما عن أهم المحاور الأساسية التي تتبعها القوافل فهي:[2] (أنظر الملحق رقم 2 ص74)

1. طريق السودان الغربي الذي يربط المنطقة بمنطقة مالي وموريتانيا.
2. طريق سجلماسة وهو الذي يربط المنطقة بمنطقة المغرب الأقصى.
3. طريق غدامس وهو الذي يربط المنطقة من جهة شرق ليبيا وتونس ومصر.
4. طريق القبائل الطوارق والبربر الضاربة جنوب الصحراء.
5. طريق شمال الجزائري وهو الذي يربط المنطقة بمدن الشمال كتلمسان، وهران، الجزائر، بجاية.

ذكرت بعض المصادر التاريخية بأن علاقة اقتصادية قامت بين الشمال والجنوب في الطرف الغربي والأوسط لأفريقيا منذ القدم، إلا أنه من المؤكد أن تلك العلاقات لم تزدهر إلا بعد الفتح الإسلامي لمصر وشمال إفريقيا، والمتتبع للدراسات التي عالجت العلاقات بين مناطق شمال إفريقيا والممالك السودانية يجد أن جلها يرتكز حول دراسات طرق وأعداد الأسواق والمواد التجارية[3].

ولقد ارتبطت الضفتان ببعضهما بمسالك عدة، كما ارتبط بالمناطق الخارجية بمسالك أخرى، وقد كانت القوافل التجارية تخترق الصحراء من جميع جوانبها لتصل الى السودان الغربي، أما خط سيرها فهو من الشمال الى جنوب أثناء مرحلة الذهاب وبالعكس عند مرحلة الإياب، حيث أقيمت مراكز

---

[1] – العياشي،**المصدر السابق**،ج1،ص21.

[2] – فرج محمود فرج، **المرجع السابق**،ص70.وانظر أيضا: أحمد جعفري، **العلاقات الفكرية والثقافية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي مصر، تونس، موريتانيا، الجزائر**، بجاية، **مجلة كان**، عدد09، سبتمبر2010م، ص37.

[3] – خير الدين شتره، **المبادلات التجارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي**، مداخلات الملتقى المشترك،(د.م)،(د.ت)، ص304.

تجارية ليسهل الاتصال بأغلب مدن إفريقيا[1].

والقوافل التجارية عادة ما كانت تضم عدة رجال مهمتهم تقديم خدمات ضرورية للمسافرين كالدليل الذي يشترط فيه المعرفة الجيدة بالمسالك الصحراوية والدراية بالنجوم ومنازلها، وكذلك طبيب وهو الآخر يشترط فيه دراية بالأعشاب المفيدة لبعض الأمراض أثناء السفر، والى فقيه متمكن في الأمور الشرعية، والحراس المكلفون بحراسة القافلة وإبعادها عن الأماكن الخطيرة، هذا وعادة مايكون عدد المسافرين قليلا في الطرق الآمنة بينما يكثر المسافرون في المسالك الغير آمنة مثل الصحراء فهم بحاجة ماسة الى بعضهم فيجتمعون في قافلة واحدة[2].

ولقد لعبت الآبار دورا هاما في تأمين الماء للقوافل، فهي محطات تستريح فيها الإبل ويسقى منها المسافرون قربهم ويراقبون حمولتهم ويتبادلون فيها أخبار الطريق ويتعرفون على الأسعار ويؤدون الصلاة وأحيانا تكون مناطق تجمع سكانية يتم فيها البيع والشراء، أما توقف القوافل في ذهابها فعادة ما يكون عند منتصف النهار فيستريح المسافرون مدة من الزمن يخرجون فيها زادهم المتكون أساسا من التمر والقديد والشاي[3].

أما نهاية سير القوافل في ذهابها نحو السودان فهي تمبكتو، إذ تمثل محطة رئيسية لتسويق منتوجات الشمال في كامل السودان الغربي، ومركز استقطاب للعديد من المنتوجات الزراعية ومن جهة الجنوب وأعالي نهر النيجر الذي يمولها بالذرة والأرز، إذ وصفها الكاتب "هكارد" بقوله: "تمبكتو منتهى القوافل التجارية الآتية من الشمال المحملة بالملح و التمر والتبغ، فالمغاربة ينزلون بها مع بداية شهر نوفمبر ليعودوا منها في شهر ديسمبر زيادة على قوافل طرابلس وتونس وتوات والجزائر التي تقطن المدينة، أما العبيد فيعشون في أسواق تمبكتو من أعمالهم وما يتاجرون فيه لحساب أسيادهم، أما

---

[1]- أحمد جعفري، **المرجع السابق**، ص38.

[2]- أبو القاسم ابن الحوقل، **صورة الأرض** ، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، (ب.ت)، ص45.

[3] - نفسه،ص45.

التجار المتجولون فيعرضون سلعهم في المساحات العامة أمام البيوت.."[1].

ومن أهم المعابر الصحراوية المشهورة التي اعتبرت شريان الحياة الاقتصادية في الصحراء:

- ❖ مسلك وادي درعه الذي ينطلق من مراكش[2]نحو تندوف ومنه نحو عرق شاش الى تاودني أوران لينتهي بتمبكتو.
- ❖ مسلك وادي الساورة الذي يخرج من فاس[3]ومكناس[4]فوادي الساورة فتوات وأقبلي و والن فعين زيزة ثم المبروك وتمبكتو.
- ❖ مسلك وهران ينطلق من وهران يتجه نحو الخيثر والمشرية وعين الصفراء وفقيق ووادي زوزفانة وتوات وتمبكتو.
- ❖ مسلك الجزائر يبدأ من مدينة الجزائر نحو الأغواط ومنها للمنيعة فعين صالح وأقبلي وتمبكتو.
- ❖ مسلك الواحات الشرقية يمتد من طرابلس[5]وغدامس[6]نحو عين صالح فأقبلي وتمبكتو[7].

---

[1] – نقلا عن:خير الدين شتره، **المرجع السابق**،ص305.

[2] – أعظم مدن المغرب وأجلها بها سرير الملك بني مؤمن، وفي البر الأعظم بينها وبين البحر عشرة أيام في وسط بلاد البربر،وأول من اختطها يوسف بن تاشفين الملقب بأمير المسلمين سنة470هـ.انظر: عبد الله بن ياقوت الحموي،**معجم البلدان**،ج5،دار صادر، بيروت،1988م،ص94.

[3]– مدينة مشهورة كبيرة على بر المغرب في بلاد البربر،وهي حاضرة البحر وأجل مدته بل أن تختط مراكش.أنظر: ياقوت الحموي، **المصدر السابق**، ص230.

[4]– مدينة مغربية في بلاد البربر على البحر الأعظم، بينها وبين مراكش أربع عشر مرحلة نحو الشرق.أنظر:ياقوت الحموي، **المصدر السابق**،ص182.

[5] – بناها قيصر، تسمى أيضا أطرابلس مدينة إياس، وعلى مدينة طرابلس صخر جليل البنيان وهي على شاطئ البحر.أنظر: أبو عبيد الله بن محمد البكري، **المسالك والممالك**، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992م،ص653.

[6]– مدينة لطيفة كثيرة النخيل والمياه وأهلها بربر مسلمون...أنظر: البكري، **المصدر السابق**، ص881.

[7]– يحي بوعزيز، **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،ص28.

❖ مسلك تيدكيلت وهي تشكل عقدة مواصلات رئيسية في الصحراء مابين الأزواد والجزائر الشمالية وهذا ماأكسب معابرها أهمية خاصة في المواصلات التجارية نحو تمبكتو وصولا الى حاسي المنقار التي تقطع هضبة تادمايت الى عين قطارة[1].

أما بقية المسالك فقد استمرت على عهدها الأول من النشاط في أيام الأسيقيين(1493م-1591م)[2]وقد ازدهرت بتوارد البضائع الأوربية على المغرب لأنه في هذه الفترة تمكن تجار الجينويون والبنادقة من إقامة فنادق على السواحل المغربية وخاصة تونس إذ كانت بمثابة مستودع للبضائع، وبهذا إنضافت لبضائع بلدان المغرب التي كانت تنقل الى السودان كميات من البضائع الأوربية أكثر من السابق، أما الطريق الشرقي فقد ازدهرت بضائعه وكثرت حركة القوافل به بأن هذه الفترة كانت دولة المماليك بمصر بلغت درجة القصوى من التعامل مع السودان وكذا كثرة الإنتاج[3]، إذن فقد بلغت حركة النشاط التجاري وحركة القوافل أوجها في عهد الأسيقيين، رغم أن بعض المسالك الطريق الغربي قد شهدت بعض الاضطرابات إلا أن ذلك لم يوقف مرور التجار من الغرب وإنما جعلهم يغيرون اتجاههم إلى طريق توات.

أما عن أهم المراكز التجارية التي تتجه إليها هذه القوافل نجد :

- أسواق توات:

وكان يضم كل من تمنطيط وعين صالح وتيميمون وقصور بودة ونظرا لما اشتهرت به أسواق توات من رخص وتنوع في السلع فقد أصبحت منطقة جذب لقوافل الحجيج العابرة للصحراء في طريقها الى حجاز لشراء مئونتها من توات، وقد ذكر هذا العياشي:"أن الكثير من الحجاج لما غلا صرف الذهب

---

[1] – محمد حوتيه، **المرجع السابق**، ص159.

[2] – وهم مؤسسي مملكة سنغاي ببلاد السودان الغربي، آل أسقيا أصلهم من صناهجة.أنظر: محمد مزين، **المغرب وبلاد السودان خلال القرنين16م و17م**،**مجلة المؤرخ**، يصدرها إتحاد المؤرخين العرب،عد16، ص ص15،14.

[3] – عبد القادر زبادية، **الحضارة العربية والتأثير الأوربي**، (د.ن)،الجزائر، 1989م، ص31.

في تافيلالت أخروا الصرف الى توات لأن الذهب بها أرخص وكذلك سعر القوت من الزرع والتمر...ويوجد فيها من البضائع والسلع التي تجذب من هناك (السودان)شيء كثير.."[1]

- أسواق السودان الغربي:

من أهم أسواقه تمبكتو التي كانت لها أهمية خاصة خلال العصر الوسيط تجاريا وثقافيا في أقصى جنوب، وعلى طول طريق القوافل التجارية من توات الى السودان الغربي توجد أسواق: أروان، مبروك، إيفروان، تيميساو، أونان، تاوديني، والن، تيرميثومين، أقبلي[2].

- أسواق تشاد والسودان الأوسط:

وتضم سوكوتو، قاندو، كاتسنا، تاقليلي، أقاديس، كوكة في بورنو، وأبشر في واداي، وماو، وأقاد يم وبيلما وتنتيلوست وبئر عيسو وجبادو، والى الشمال توجد الأسواق الفزان وواحة الكفرة بليبيا.

- أسواق السودان الشرقي:

ومن ضمنها أسواق دارور وكور دوفان، كالفاشر، والفوجة وأوبيب وسنار، والخرطوم، ودنقلة، وسواكن ووادي حلفا[3].

ونتيجة لهذا التنوع في الأسواق فقد غدت أسواق توات تزخر بالبضائع المجلوبة من هنا وهناك، ومن ثمة أصبحت مقصدا للتجار القادمين من الخارج، ولم يكن في استطاعت التجار عرض سلعتهم إلا في أسواق العامة بالمدن والقصور، وصارت هذه الأسواق تلعب دورا هاما في حياة السكان ، فهي في الداخل مركز تجاري لعقد صفقات والمبادلات، الى جانب تلبية احتياجات سكان من مواد الغذائية والاستهلاكية، أما بالنسبة للخارج فهي مكان المفضل الذي يقصده أصحاب القوافل التجارية القادمة من الخارج بغرض استبدال سلعتها بالسلع التي في حوزة تجارة البلدة[4].

---

[1] -العياشي، **المصدر السابق**، ص20.

[2] - خير الدين شتره، **المرجع السابق**، ص309.

[3] -نفسه، ص310.

[4] - فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص63.

I. المبحث الثاني: التجارة الداخلية والخارجية

أمام متطلبات سكان إقليم توات من المواد الاستهلاكية التي لم يتوفر وجودها عندهم، ونظرا لأن عائدات الزراعة كانت لاتكفي حاجة سكان لسد حاجياتهم، فاعتمد التواتيون على الإستراد لسد حاجياتهم، ولذلك انشغل الكثير منهم بتجارة المبادلات بين سلع أسواق المغرب العربي وأقاليم السودان مستغلين موقعهم الوسط بين الأسواق[1].

1) التجارة الداخلية:

لعبت الأسواق العامة دورا هاما في الحياة الإقتصادية عند التواتيين فكانت تعد القلب النابض بالتجارة للبلدة، لذلك لم تخل المدينة أو قصر في توات منه، ونظرا لما للسوق من أهمية في تنشيط حركة البيع والشراء، فقد حرص كل صاحب سلعة على عرضها داخل الأسواق، إما لبيعها أو استبدالها بسلعة أخرى[2].

وعلى رغم من أن سوق المدينة أو القصر كان له يوم أو أكثر لإقامته، فإنه كان من الممكن إقامته إذا قدمت قافلة التجارية للبلدة، إذ تقصد سوق وتضع سلعها وينشر خبر مجيئها ويأتي التجار بسلعهم، لتدب الحركة داخل السوق الكبير إلى غاية غروب الشمس، وكذلك الحال بالنسبة لقوافل الحجيج، إذا كانت تمكث بضعة أيام بسوق البلدة لشراء المواد الأكثر استهلاكية خاصة التمور ويبيعون أثناء ذلك ما يستغنون عنه من نخيل وإبل[3].

يصف لنا حسن الوزاني سوق مقاطعة تسابيت فيقول:"سكان هذه المنطقة أغنياء لأنهم اعتادوا الذهاب كثيرا بسلعهم الى بلاد السودان، وهنا مجمع القوافل، لأن تجارة بلاد البربر ينتظرون تجار بلاد

---

[1] – خير الدين شتره، المرجع السابق،ص310.

[2] – فرج محمود فرج، المرجع السابق،ص63. .

[3] – نفسه، ص64.

السودان، ثم يذهبون جميعا"[1].

بالإضافة الى سوق تيميمون، إذ كان من أهم أسواق منطقة القورارة، ويحتل شهرة واسعة خارج توات، إذا تنوعت وكثرت والسلع المعروضة به من عبيد وريش النعام والعاج واللحوم المجففة والجلود، بالإضافة الى التمور والحناء والطباق والشمة التواتية المعروفة ومصنوعات يدوية كالأبسطة، والبرانس، والأغطية، والقفف والسلال، وكذلك الملح والفحم النباتي، والجير والجبس وغيره. وكان هذا السوق تقصده قوافل قادمة من المنيعة وغرداية وسعيدة والمشرية وعين الصفراء لمبادلات سلعها من القهوة والسكر والشمع والصابون بسلع هذه السوق[2].

وإذا انتقلنا الى منطقة توات نجد سوقي مدينتي تمنطيط وأدرار من أنشط الأسواق نظرا لما لهما من شهرة وأهمية وذلك لكون تمنطيط كانت عاصمة إقليم توات قبل القرن الثامن عشر ميلادي وهو قديم جدا وقد أشار إليه ابن خلدون[3]وصاحب كتاب "القول البسيط":"فأعلم أن مدينة تمنطيط اسم لمدينة في إقليم توات لقد اجتمع فيها العلم والعمارة والولاية والديانة والرئاسة، وانتصب بها الأسواق والصنائع والتجارات والبضائع، وكان لايستغني عنها غني ولا زاهد...ولا يقنع ذو سلعة عرضها إلا بسعرها..."[4].

ثم أصبح سوق أدرار يزاحم مدينة تمنطيط وذلك منذ بداية القرن الثامن عشر ميلادي، إلا أنه لم يفقد مكانته بل ظل يقوم بدوره الاقتصادي فيذكر صاحب كتاب"القول البسيط":" أن عدد حوانيت التجاريين بسوق تمنطيط كان يبلغ ثلاثة مئة وستين حانوتا، وشملها من حوانيت الحدادين، ومثلها من حوانيت صناع الحلي، هذا بخلاف صانعي الأحذية والمحافظ الجلدية"[5].

---

[1] – حسن الوزان، **المصدر السابق**،ص ص133،134.

[2] – فرج محمود فرج، **المرجع السابق**،ص65.

[3] – ابن خلدون، **المصدر السابق**،ص95.

[4] – نقلا عن:ابن بابا حيدة، **المصدر السابق**،ص03

[5] – نفسه،ص3.

بالإضافة الى سوق مقاطعة ركان، برزت أهميته في كونه يستقبل بعض القوافل القادمة من أسواق سودان الغربي، كانت تتحكم به قبائل هذه المقاطعة إذ تقوم بعملية التبادل من الإبل والحمير والخراف مقابل التمور التواتية، ومما ذكر في هذا الشأن أن تجار هذه القبائل كانوا يتخلصون من نوى التمر التي يشترونها لتخفيف وزن الحمولة[1].

أما عن منطقة تيدكلت، نجدها تحتل مكانة هامة جدا في صحراء وقد تركزت النشاط التجاري لها في عين صالح فسوقها الرئيسي الواقع بأكبر قصورها وهو قصر العرب الكبير كان نقطة هامة لالتقاء القوافل التجارية العابرة للصحراء في كافة الاتجاهات، إذ تضع سلعها بهذا السوق إما لبيعها أو لاستئناف السير لأسواق أخرى ليصبح بذلك منطقة عبور[2].

ولهذا السبب أصبح يجذب إليه تجار بأعداد كبيرة لكونه كانت تعرض به السلع المتنوعة ورخيصة الثمن في نفس الوقت، بالإضافة الى كونه يجمع بين سلع السودان الغربي من عاج وريش ونعام والذهب والعبيد...الخ، ومن طرابلس وغات تأتي القهوة والسكر والفلفل الأحمر، ومن أسواق التل الجزائري تأتي السكاكين والمرايا وإبر الخياطة والمجوهرات، ومن المغرب الأقصى تأتي الملابس المطرزة والأسلحة النارية والخيل بالإضافة للتمور والأبسطة وملابس التواتية[3].

وقد ذكر فرج محمود فرج أن الرحالة الألماني"جيرها رد دولف" عند توجهه لتيدكلت إذ زار سوقها الكبير ووصف المعروضات والنشاط التجاري الذي يحتله هذا السوق بالنسبة لتجارة الصحراء. وكانت الأسواق العامة والحوانيت التجارية بإقليم التواتي تخضع لرقابة قاضي البلدة فقد كان من ضمن واجبات قاضي البلدة الإشراف على الموازين والمكاييل التي يستخدمها التجار داخل الأسواق العامة،

---

[1] – فرج محمود فرج، **المرجع السابق**، ص66

[2]– Mechel Fontenay ,**Routes et Modalités du commerce deseclaves dans la Méditerranée des temps moderns**, presses universitaires de France ,paris,(s.d), p822.

[3]– فرج محمود فرج، **المرجع السابق**، ص67.

وهذا طبعا للتأكد من صحتها، وكذلك كان له الحق في بحث أي شكوى تقدم إليه تتعلق بالنزاع في الأمور البيع والشراء أو الغش في السلعة المباعة، وبذلك ساد الأسواق التواتية جو من الثقة والأمان[1].

2) التجارة الخارجية:

تدخل فيها عملية الاستيراد والتصدير مع العام الخارجي وذلك لحاجة التواتيين للسلع الخارجية وللتخلص من فائض التمور عندهم من جهة أخرى، وبهذه الطريقة أصبحت أسواق توات ومدن الكبرى تجارية هامة تزخر بشتى أنواع السلع[2].

لم يكن النشاط التجاري لتوات وليد الفترة المدروسة لكنه كان قبل ذلك، وقد أشار لذلك إبن خلدون حينما ذكر:"وفواكه بلاد السودان كلها من قصور صحراء المغرب مثل توات وتكوارين وركلان"[3].وفي موضع آخر يذكر:"وطن توات هو بلد مستبحر في العمران وهو ركاب التجار الى مالي، وبينه وبين تغمز مالي المسمى"غار المغازة المجهلة" لا يهتدي فيها للسبيل، ولا يمر الوارد إلا بالدليل من الملثمين الضواغن في ذلك القفر يستأجره التجار على البذقة بهم بأوفى الشروط"[4].

وكما ذكرنا سابقا بأن أسواق توات اشتهرت بالرخص والتنوع السلع، أصبحت تجذب إليها قوافل الحجاج أيضا والتي كانت قادمة من مدن سجلماسة تافيلالت وشنقيط كل عام، إذ تسلك أثناء سيرها الطريق المار داخل توات، وغالبا ماتشتري هذه القوافل حاجيتها من المؤن من أسواق توات، وهذا ماذكره العياشي في رحلته[5].

بالإضافة أن التجارة الخارجية لإقليم توات لاتكاد تخرج من محاورها الخمسة المذكورة سابقا وهي

---

[1] – فرج محمود فرج، **المرجع السابق** ، ص68.

[2] – نفسه، ص69.

[3] – ابن خلدون، **المصدر السابق**، ص63.

[4] – نفسه، ص123.

[5] – العياشي، **المصدر السابق**،ص20.

الطرق الخمسة للقوافل التجارية[1].

كان تجار التواتيون هم الذين يتوجهون على رأس قوافلهم التجارية المحملة بالسلع الى أسواق السودان الغربي وكان بعضهم لايذهب على رأس قوافلهم بل يؤجرون آخرين للسير وهذا نظير عمولة تدفع لهم.وكانت سلعهم تشمل القهوة والسكر والملابس المطرزة، والأسلحة النارية والحناء و الشمة التواتية، وكان تجار التواتيون يبادلونها هناك بالعبيد والذهب الخام وريش النعام والعاج وغيرها. ويعدون بهذه السلع لعرضها بأسواق توات والمدن الكبرى، وفي كثير من الأحيان يواصلون السير بها بعد ذلك الى أسواق تافيلالت وسجلماسة ومراكش لمبادلتها بالخيل والأسلحة النارية والسيوف و الفواكه المجففة والملابس المطرزة، ويعودون بهذه السلع لعرضها بأسواق توات كذلك، وهكذا[2].

وتشكل القوافل التجارية القادمة من غدامس وغات وطرابلس وجنوب تونس المحور الثالث في التجارة التواتية مع الخارج(أنظر الملحق رقم3،ص75) حيث تضع هذه القوافل حمولتها من القهوة والسكر والفلفل الأحمر والصمغ العربي بسوق قصر العرب الكبير بعين صالح، وكانت هذه السلع إما تباع داخل هذا السوق أو تحمل مرة ثانية للسير بها نحو أسواق السودان الغربي،ويذكر الشيخ محمد الحشائشي في رحلته عن نشاط التجاري بين غات وتوات فيقول:"ثم نرجع الى الكلام على غات فنقول أن غات هي مركز عظيم للتجارة الصحراوية ومرسى السودان ولها تجارة كبيرة مع أهل توات"[3].

أما تجارة توات مع القبائل البربرية والطوارق الضاربة جنوبها، فتشكل المحور الرابع في التجارة الخارجية، وكانت تتم عن طريق وصول تجارة هذه القبائل الى أسواق عين صالح ومدنيين وكانوا يأتون بالإبل والحمير والخراف والماعز لمبادلتها بالتمر التواتي والحناء والشمة[4].

---

[1]- أنظر الفصل الثاني من هذا البحث، ص ص26، 27.

[2]- فرج محمود فرج،**المرجع السابق**،ص70.

[3]- نفسه،ص71.

[4]- خير الدين شتره،**المرجع السابق**، ص311.

أما المحور الخامس فيتمثل في مجيء قوافل من الشمال الجزائري في موسم جمع التمور بتوات، فكانت القوافل التجارية الميزابية مثلا تأتي من غرداية لتبادل السلع بالتمور التواتية في أسواق منطقة القورارة وهي الأقرب لإقليم، وفي مرورها داخل هذه المنطقة تتبادل سلعها من القهوة والسكر وجزات الصوف والتمور والحناء التواتية، وغالبا ينتهي مسارها بسوق تيميمون[1].

أما القوافل القادمة من سعيدة والبيض وسيدي الشيخ والمشرية وعين الصفراء فكانت تقصد أسواق توات في شهر ديسمبر من كل عام، وتأتي منها بسلع الاستهلاكية والغذائية لمبادلتها بالمنتوجات التواتية، وكانت تشمل السمن والزيت والشحم والصابون والقمح والدقيق والفول الجاف وجزات الصوف وغزل القطن والفلفل الأسود وغيره، وكانت تدخل هذه القوافل لتوات عن طريق قصر أولاد عيسى الذي يقع في أقصى شمال غرب القورارة، ويلي العرق الغربي الكبير مباشرة، وتقصد أسواق منطقتي القورارة وتوات[2].

3) طبيعة المبادلات:

وهي السلعة المتبادلة بين تجارة توات والقوافل التجارية الوافدة والعابرة الى الصحراء فتتمثل في الملح والذهب والعبيد وسلع أخرى، فشعوب أفريقيا جنوب الصحراء كانت بحاج ماسة الى الملح نظرا لاستعماله في أغراض مختلفة أهمها الطبخ ولأن الإنسان يفقد بالعرق كميات كبيرة في تلك المنطقة الحارة، بالإضافة الى صعوبة تنقله من سواحل البحر على المحيط تشكل عبئ كبير على تجار وذلك لإرتفاع درجة الحرارة في طريق الرحلة مع تكاليف نقله الباهضة لعدم توفر مناجم لنقل الملح منها بسهولة الى مسافات بعيدة، وحين تم اكتشاف الملح الصخري اعتمد سكان المناطق الجنوبية على مناجم"تغازا" في الصحراء الكبرى التي كانت تحت سيطرت تجار الشمال[3].

---

[1]-فرج محمود فرج،**المرجع السابق**،ص71.

[2]- أحمد جعفري، **المرجع السابق**، ص39.

[3]- خير الدين شتره، **المرجع السابق**، ص310.

ونظرا لحاجة السكان لهذه المادة نجدها تقايض بالذهب، وقد لاحظ الجغرافي ياقوت الحموي(625هـ/1229م) أن ثمن شيء في ضريبة ملك "غاو"كانت الملح[1]، وكذلك البكري في كتابه"المغرب"أن ملك غانا حافظ على ثروة الملح حين فرض ضريبة قدرها دينار من الذهب على كل حمل يدخل بلاده، ودينارين على كل حمل مماثل يغادرها[2]، أما ابن الحوقل الذي زار أودغست لاحظ أن الملح يتراوح بين مائتي الى ثلاثة مائة دينار من الذهب[3]، ومن هذا نستنتج أهمية هذه المادة كسلعة مطلوبة منذ الفتح الإسلامي لهذه المنطقة.

أما الرحالة ابن بطوطة(ت1377م) الذي زار بلاد السودان ذكر"ان ثمن الحمل الواحد من الملح في مدينة مالي يعادل عشرة مثقال من الذهب ويصل في بعض الأحيان الى أربعين مثقال ويقال أن سكان تلك المنطقة يستعملون الملح كعملة بدلا من الذهب"[4].

وقد استمرت أهمية الملح الى غاية القرن السادس عشر ميلادي حيث لاحظ الرحالة "جامستا ألفيس"(jamista alvise)الذي زار غرب إفريقيا سكان هذه المناطق يستهلكون كميات كبيرة من الملح وذلك ليتجنبوا جفاف أجسامهم، ويؤيده الرحالة الأوربي"فالنتين فيرناندير" valentine) Fernandez) في ذلك فيقول أنهم يستعلون الملح كعلاج للعديد من الأمراض، كما كان استخراج الملح من منطقة أوليل من إقليم جدالة بالقرب من المحيط الأطلسي إذ تعتبر المصدر الثاني للملح[5].

أما سلعة الذهب التي كانت مطلوبة في الشمال الإفريقي وأوربا فقد كان تجار يحصلون عليها من بلاد

---

[1]- ياقوت الحموي، **المصدر السابق**،ج7،ص302.

[2]- أبوعبيد البكري،**المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**،دار السعادة،مصر، 1906م،ص176.

[3]- ابن الحوقل،**المصدر السابق**، ص15.

[4]- ابن بطوطة، **المصدر السابق**، ص764.

[5]- خير الدين شتره، **المرجع السابق**،ص311.

غانا المشهورة بمناجم الذهب والتي اشتهرت به حتى أطلق عليها الجغرافيون والرحالة بلاد الذهب[1]، يذكر البكري أن أنقى أنواع الذهب كانت من منجم"غاتيرو" بالقرب من الساحل الجنوبي للسنغال، بالقرب من مدينة"كيبس" وتقع هذه المدينة كما ذكر البكري على بعد 20يوما من مدينة غانا وكانت أحسن أنواع الذهب تأتي من مدينة أدغشت[2].

أما تجارة العبيد كانت من التجارة الرئيسية في توات الى جانب تجارة الملح والذهب، وتعتبر بلاد السودان المورد الأساسي للعبيد المجلوبين الى المنطقة، ومن أهم المدن التي كثرت بها الرقيق تمبكتو وكوبر وبرنو، وعرف عن ملك هذه الأخيرة أنه كان يستبدل العبيد بالخيول، فيدفع ثمن كل شيء بالعبيد بدلا من الذهب، ويأخذ التجار مقابل كل فرس خمسة عشر أو عشرين عبدا[3].ويختلف سعرهم من سوق لآخر حسب العرض والطلب، فكانت الأسعار في توات منخفضة في قرن الثامن عشر ميلادي، العبد الواحد بيع بأوقيتين من الذهب، وهذا يعود لكثرة العبيد أما غانا فكانت الأسعار بها مرتفعة لكثرة الطلب ونفس الشيء في أسواق تلمسان وبلاد المغرب.

وقد راجت تجارة الرقيق في أسواق السودان لحاجة الناس إليهم فيقتنونهم على مختلف أعمارهم ويستغلونهم في الحرف والمناجم ونقل البضائع وحماية القوافل وفي المنازل والقصور والجيش وحراسة الملوك والسلاطين،وفي الزراعة والرعي، ويباع أولادهم[4].

أما عن أسعار العبيد في ق18م فتعطينا الإحصائيات تباين بين 228و810درهم ريال صغار، والأكثر تداولا هي بين 250 و400ردص وعموما كانت أسعار الأمّة أكثر ارتفاعا كما نجد أن العبيد الذين كانوا يباعون الى كبار المسئولين كانت أعلى بكثير من غيرها فنجد قيمتهم عند هذه

---

[1]- أبو الحسن المسعودي، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**،ط2،الشركة العالمية للكتاب، القاهرة،1989م،ص39.

[2]- البكري، **المصدر السابق**، ص176.

[3]- بهية بن عبد المؤمن، **المرجع السابق**، ص81.

[4]- أحمد بن محمد المقري، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**،تح: إحسان عباس، ج7،دار الصادر، بيروت، 1968م، ص131.

الفئة بقيمة 1500ردص و4.448ردص، هذا ما تذكره الوثائق في هذه الفترة[1].

كما كانت رحلة العبيد عبر الصحراء شاقة وطويلة تصحبها أخطار عديدة كهجمات قطاع الطرق وتقلبات المناخية من العواصف الرملية وشدة الحر والبرد القارص الى جانب التعب وقلة الزاد والمئونة، وكلها عوامل تؤدي الى خسارة العديد منهم قبل الوصول الى توات، وكان يباع العبد الصغير في السن بأثمان باهظة، بينما كانوا كبار السن يباعون بأثمان بخسة[2].

وقد تعامل التجار بالإضافة الى الذهب والعبيد والملح في العطور وريش النعام وجوز الكولا والجلود والعاج، وهي سلع كانوا ينقلونها من الجنوب الى الشمال وبالمقابل حمل التجار الجنوب الملابس والمنسوجات والورق والسيوف،أما أهم السلعة كانوا يتعاملون بها فهي الملح[3]

وتحمل القوافل خلال اتجاهها من الشمال إلى أسواق الصحراء العديد من السلع والبضائع منها:الأقمشة المتنوعة، والأسلحة المختلفة لتسليح القوات المحلية كالدروع والخوذة والسهام والتروس والبنادق والسروج والألجمة، والأواني الفخارية المنزلية، والأدوات الحديدية والزجاجية، والخردوات والروائح العطرية والعشبية والصبغية، وأدوات الزينة والتجميل، بالإضافة الى الكتب المنسوخة والورق والأقلام وذلك بسبب ازدهار الثقافة الإسلامية العربية وانتشارها بشكل واسع، كما أن بغال المغرب العربي كان مرغوب في اقتنائها بكثرة في الصحراء، يضاف الى ذلك الخضر الجافة والزيوت والشحوم والزبدة والأغنام والصوف[4].

وتحمل القوافل هذه البضائع المختلفة المغربية والأوربية والأسيوية الى مختلف أسواق السودان وتبيعها وتبيع حتى الجمال معها التي تعبت وضعفت من شدة الثقل وطول المشقة والمسافات التي قطعتها،

---

[1] – المنور مروش، **العملة الأسعار والمداخيل دراسات** عن الجزائر خلال العهد العثماني، ج1، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009م،ص301.

[2] – بهية بن عبد المومن، **المرجع السابق**، ص82.

[3] – خير الدين شتره،**المرجع السابق**، ص311.

[4] – نفسه.

ويقوم تجار بشراء جمال أخرى قوية ، ويشترون الملح والعاج والذهب والتمور وبعض الأقمشة الإفريقية[1].

3) أ- أسعار السلع المتداولة:

كانت التجارة تتم بالتبادل في معظم الأحيان نظرا لقلة العملات، وضعف انتشارها واستعمالها، فكمية من الملح مثلا يتم تبادلها بعشرين وزنة من البشنة أو اللوبيا الأهلية، وحمار واحد بألفي وزنة من البشنة وهو ما يعادل عشر حمولات بعير[2].

مايمكن ملاحظته في التجارة وطبيعة العلاقات التجارية لتوات أن نضام المقايضة كان جاري العمل به على نطاق واسع في المتاجرة الداخلية والخارجية على سواء، وكان التمر هو غالبا أثمان أهل توات فيما يقتنون من عروض، غير أن استعمال النقد لم يكن منعدم، فنجد في نوازل الجزلاوي[3]العديد من تسميات لقطع النقدية التي يجري بها التداول كالمثقال والدرهم والفلس والمزونة.

وكما ذكرنا إلى جانب التبادل العيني للسلع، هناك عدة عملات شاع استعمالها في تجارة الصحراء بعضها محلية والبعض مستورد من الخارج منها:[4]

- العملة حديدية منتشرة كثيرا في مناطق غينيا.
- عملة نحاسية حمراء رقيقة وغليظة ذات قيمة منخفضة جدا.
- عملة الملح المعدني الذي يقطع الى قطع صغيرة مختلفة الأحجام والأشكال، تستغل في بيع والشراء.
- الكوري عملة فارسية هندية مستوردة قيمتها منخفضة.
- عملة ذهبية على شكل قطع أو تبر.

---

[1]- يحي بوعزيز، **موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر الحديث**، ج1، دار الهدى، الجزائر،(د.ت)، ص528.

[2] - يحي بوعزيز، **مع تاريخ الجزائر ،المرجع السابق**، ص46.

[3]- أبو الحسن الجزلاوي ، **نوازل الجزلاوي**، مخطوط، خزانة كوسام، الجزائر، ص ص 38،41.

[4]- عن العملات المستعملة وقيمتها قبل الاحتلال الفرنسي، أنظر: ناصر الدين سعيدوني، **النظام المالي في الفترة العثمانية(1800م-1830م)**،مطبوعات جامعية، الجزائر، 1979م،ص-ص 201،210.

- الدوخة الذهبية أو الفضية.
- الدراخمة عملة مستوردة من الخارج من طرف التجار.
- الدينار الشائع الاستعمال في بلدان المغرب العربي.
- المثقال الذهبي يساوي 19فرنك في تمبكتو.
- المجيدي ويساوي 4.5فرنك.
- المحبوب الذهبي شائع استعماله في المغرب العربي.
- الصائمة النحاسية شائعة استعماله في المغرب العربي.
- المزونة الفضية شائع استعماله في المغرب العربي
- الدورو الفضي شائع استعماله في المغرب العربي.
- البنتو وهي عملة فضية أجنبية.

كما يذكر لمنور مروش نقلا عن القنصل وتاجر "لوجي دي تاسي"(laugier de tassy) تقديم مفصل عن النظام النقدي السائد في الجزائر خلال ق18م الذي كان في طور التثبيت والاستقرار فهو لاحظ أن صرف النقد الأجنبي المتداول في الجزائر كان يعرف تغيرات طفيفة وقيمة الريال دراهم الصغار هي عملة نظرية تساوي دائما عدد ثابت من الدراهم .[1]

وعن أسعار السلع والبضائع، أورد الرحالة "كوداري"نموذج لأرباح تجارة القوافل الصحراوية وذكر أن الحصان الجيد يساوي 30دوخة(240فرنك) يباع في السودان بعدد17عبدا أسود، كما ذكر أن سعر العبد الذكر 20دوخة وسعر الأنثى 15دوخة، وسعر الصبي40دوخة[2].

وحسب الرحالة"بوزو" تشتري البضائع الآتية من السودان بالأسعار التالية:

- العاج: من200إلى 220ألف كوري للكيلوغرام أو560 إلى60فرنك.

[1] – لمنور مروش، المرجع السابق، ص50.

[2]– يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر،المرجع السابق، ص48.

- تبر الذهب: من07إلى 08 ألف كوري للمثقال.
- العبد الذكر: من120إلى 130ألف كوري أي 130فرنك.
- الأمة: من 150إلى 200 ألف كوري أي من150 إلى200 فرنك[1] .

وتباع في طرابلس بالأسعار التالية:

- العاج: من200 إلى300 محبوب للقنطار.
- ريش النعام: من5 إلى 5وربع محبوب للكيلوغرام.
- تبر الذهب :من3محبوب للمثقال أو13فرنكا.
- العبد الذكر: من 70إلى80 محبوب.
- الأمّة: من100إلى120 محبوبا.

وإلى جانب ذلك يدفع التجار الضرائب الجمارك في الذهاب والإياب وعلى الشكل الآتي:[2]

- في غات:خلال الذهاب 01مجيدي للحمولة(4.5فرنك) وخلال العودة 02مجيدي (09فرنك).
- في أقاديس: 20فرنكا للحمولة.
- في كانو: خلال الذهاب 25فرنك للحمولة، وخلال العودة يدفعون 20فرنك.
- في زندر: خلال العودة بالنسبة للعاج وريش النعام 20فرنك للحمولة.

3) ب أدوات الكيل:

- المد: المقدر بحفنة باليدين المتوسطتين يستعمله لتجار والعامة عند كيل المواد الجافة كالتمر والحبوب ويكثر استعماله عند إخراج الزكاة صبيحة العيد.

---

[1]- نقلا عن:خير الدين شتره، المرجع السابق،ص313.

[2]- يحي بوعزيز، **طرق القوافل والأسواق التجارية بالصحراء الكبرى كما وجدها الأوربيون خلال قرن18م، مجلة الثقافة**، عدد59،أكتوبر 1980م، الجزائر، ص30.

- الصاع: أو الرابعة تساوي أربعة أضعاف المد.
- القصعة: تستعمل في إقليم توات وتعادل 2.5كغ.
- المزود: جلد من الغنم أو البقري يعادل خمسين أو ثمانية كيلوغرام حسب المادة.
- الحمل: يعادل ستين صاع[1].

3) ج أدوات القياس:

- الذراع: وهو وحدة الطول ويحدد الذراع مابين المرفق ونهاية الوسطى، ويساوي خمسين سنتمتر في المتوسط، وتماثله القامة التي يتراوح طولها من0.47-0.55سم، فكل سبع وعشرين قامة يسمونها بالأزواد سابو،رصو، وكل أربعين قالة يطلقون عليها باهسينا أو بيصة وكل ستين قامة تعرف بتون وكل خمس وستين قامة تسمى بساطورة.
- القامة: هي طول الرجل المتوسط، ويساوي في العادة 1.70سم.
- الشبر: وهو مسافة بين الخنصر والإبهام عندما تكون اليد اليمنى مفتوحة وهو يعادل 21.5سم
- الفتى: وهو المسافة بين السبابة والإبهام يساوي 17سم.
- القدم: لقياس الأرض وتحسب قدما بعد الأخرى يستعمل بكثرة لمعرفة الوقت الزوال.
- الحبل: لقياس الأرض أيضا وطوله 10م.
- الميل: مسافة 1920متر .
- الفرسخ: تعادل ثلاث أميال.
- البريد: ساعة واحدة بالسير المتوسط بالحصان.
- الحبة: وحدة قياس الماء عبارة عن ثقب في لوحة من النحاس تساوي حجم الإبهام طولها تسعة مليمتر يمر بها في دقيقة ثلاث لترات ماء.

أما الوزن فقد اهتموا به في الأشياء الثمينة كالفضة والذهب التي توزن بميزان صغير وقبل الوزن يجربون

[1]- خير الدين شتره، **المرجع السابق** ، ص314.

الميزان بحبوب من القمح ومن النادر أن يجد الفرد الأوزان بصروفها وهي جمعها من أحجار مختلفة ليست مؤشر من طرف سلطة لكن مراقبة من قبل وجهاء المدينة. [1]

3) د– أدوات الوزن:

– الأوقية:تعادل في المتوسط 27.5غرام.

– الرطل: يساوي في الغالب 500غرام.

وتتخذ الأوزان الدقيقة التي كانت تستعمل في الوزن مسحوق الذهب أشكالا ومعايير متباينة وهي في الحقيقة أجزاء من المثقال الذي كان يعادل(04 غ) وقد حملت تلك الأوزان أسماء سودانية محلية هي: الباني، والصودو، والثلث، والدياره والعروبو والعروباس[2].

ومما سبق نستنتج: – رغم عدم خضوع توات للحكم العثماني وهو ماكان سائد في المغرب الأوسط باعتبارها جزء ، وخضوعها لحكم السعديين والعلويين بالمغرب الأقصى إلا أنها بقيت محافظة على سلطتها الفردية القبلية على إقليمها وهذا اكسبها نوع من البعد عن الصراع القائم بين هذيه القوانين واكسبها الأمن والاستقرار لجذب التجار والعلماء من الأقطاب المجاورة.

–أن التواتيون استفادوا من التجار الصحراء، بفضل موقع إقليمهم الوسط مما جعل أسواق توات بمثابة نقطة التقاء وتجميع للقوافل التجارية العابرة للصحراء في نصفها الغربي، ولم يتوقف نشاطها عند هذا الحد بل إن تجار توات مالبثوا أن ربطوا شمال المغرب بأسواق السودان الغربي عن طريق قوافلهم الذاهبة والآتية داخل الصحراء.

– لقد كان لتجارة الداخلية والخارجية دور كبير في فك العزلة وربط توات بالمحيط الحضاري الذي كان في تلك الفترة إذ شكل هذا الترابط نوع من التواصل بين الإقليمين الشمالي والجنوبي .

– تمثلت المتبادلات التجارية في إقليم توات بالحفاظ وتطوير المنتوج المحلي المتوفر مع تصديره وجلب

---

[1]– خير الدين شتره، **المرجع السابق**، ص315.

[2]– نفسه، ص 316.

المواد المتوفرة في الأقاليم المجاورة خاصة بلاد السودان الغربي إذ كان لتجارة الذهب والملح والعبيد دور كبير في ازدهار التجارة في الإقليم.

- الملاحظ في العلاقات التجارية في القرن18م هو تراجعها في النصف الأخير من هذا القرن وذلك راجع الى النشاط الأوربي في سواحل سودان الغربي، وهذا دفع القوافل التجارية الى تغيير مسارها التجاري الى السواحل وبالتالي تراجع التجارة في إقليم توات.

الفصل الثالث: العلاقات الثقافية لإقليم توات خلال ق18م

- المبحث الأول: الحركة الثقافية لإقليم توات

-المبحث الثاني: الزوايا والحياة الثقافية.

- المبحث الثالث: علماء توات خلال ق18م.

يعتبر إقليم توات من أهم الحواضر العلمية التي لعبت دورا هاما فيإثراء الحياة الثقافية والعلمية بالمغرب العربي في العصر الحديث، فقد شكل على مرّ تاريخه الضارب في القدم، منطقة ربط بين حواضر الشمال والجنوب وذلك لأن وقوع المنطقة ضمن طريق القوافل القادمة من الشمال والمتجهة الى جنوب الصحراء، وركاب الحاجة الآخذة نفس الطريق أو تلك القادمة من حواضر المغرب الأقصى الجنوبية والمتجهة نحو الأراضي المقدسة، وقد كون هذا المعطى رافدا هام لتلاقي الثقافات والمعارف مما أضفى على المنطقة دينامكية علمية أسفرت على انتعاش حركة التأليف في شتى العلوم ترجمتها الكم الهائل من المخطوطات وكثرة العلماء الذين تصدروا حلقات الدرس وألفوا الكثير من المصنفات وهذا ما سنأتي على ذكره في هذا الفصل.

I. المبحث الأول:الحركة الثقافية لإقليم توات

إن الوضع الثقافي في منطقة توات عرف انتعاش منذ دخول العرب والإسلام في الإقليم، حيث حمل معه حركة ثقافية واسعة فما إن تمكن الإسلام من قلوب السكان، فوفد على المنطقة علماء ومشايخ من جميع الجهات، وأنشأت الزوايا والمدارس وحتى راح الناس يقبلون العلم والمعرفة من أفواه العلماء في مختلف العلوم الشرعية واللغوية والعقلية، في تلك المدارس والزوايا، وبتقدم العصور كان القرنان الثاني عشر والثالث عشر هجريين(18م و19م)عصرا ذهبيا في تاريخ الإقليم[1].

والسبب في ذلك هو حضور عدد كبير من العلماء في هذه الفترة التاريخية، فقد عكف الكثير من المشايخ توات المشهود لهم بالكفاءة على دراسة آداب اللغة العربية وأصول الدين، الى جانب انشغالهم بالتدريس في المساجد والزوايا وغيرهم من المؤسسات التعليم، التي كانت منتشرة داخل قصور توات[2]، وهكذا لم يخل قصر أو مدينة تواتية من مدرسة قرآنية أو زاوية، وقد تكون أكثر من مدرسة، منها ماهو رئيسي ومنها ماهو فرعي، كما كانت للزوايا مكاتب وخزائن كتب، ساهم بذلك

[1] – عبد القادر بقادر،**علماء توات في الدرس اللغوي خلال القرنيين الثاني عشر والثالث عشر هجريين**،**مجلة الآثر**،العدد19، جانفي2014م،ص90.

[2] –فرج محمود فرج، المرجع السابق،ص85.

مشايخ الزوايا ومدرسوا القرآن الكريم في نهضة علمية ثقافية.[1]

وقد كان التعليم في توات يمر بمراحل ثلاثتبدأ عادة بالكتاب ثم الزاوية أو المسجد بالنسبة للتعليم الثانوي، أماالإجازات العلمية والأدبية فيمنحها التعليم النهائي لعلماء وفقهاء من توات والبلدان العربية الإسلامية ، وكانت فرصة التعليم متاحة أمام جميع طبقات المجتمع التواتي، إذ يأخذ الطفل في مرحلة الكتّاب مبادئ القراءة والكتابة أولا ثم حفظ القرآن على يد متعلمين تفرغوا لذلك، وكانت أسرة تقدم نظير تعليم أبنائهم لمدارس التعاليم سنويا من القمح والتمر لمعلم الكتاب نظير عمله، تأتي بعد ذلك مرحلة الثانيةالتعليم بها أرقى من سابقتها وتتم في الزواية أو المسجد ويشرف على التعليم الفقيه أو الإمام، يكون نظام التعليم الدراسي يومي يسَر يقوم الفقيه أو الإمام بتدريس لوحده دون مساعدة وذلك بتلقينه جميع العلوم في صحن الزاويا أو المسجد على شكل دائرة يتوسطها الشيخ ويحمل الطلبة لوحة وكتبهم، وتستمر الحلقة من الصباح الى وقت الظهيرة ثم تكون الفترة الثانية من بعد العصر الى غاية المغرب وهذا طول الأسبوع ماعدا الجمعة والأعياد ومناسبات الدينية.

وكانت مرحلة التعليم بها غير محددة بل حسب استيعاب الطالب يتعلم قواعد اللغة العربية من نحو والصرف والبيان والعروض والمنطق والحساب والجبر وعلوم الشرعية من حديث وتفسير ومذهب الإمام المالكي وعند الانتهاء الطالب من استيعاب هذه المواد يقوم بامتحان أمام الشيخ ويقام له حفل عند نجاحه[2].

كما كانت للزوايا دور بارز في تعليم من قبل مشايخها الذين يعطون ايجازات علمية وأدبية لطلاب هذه الزوايا وهي المرحلة الثالثة، ولم تقتصر هذه الايجازات فقط من طرف علماء توات بل تجاوزت خارج هذا القطر وذلك من الأقطار العربية الأخرى ليعودوا لتوات ويتولون مناصب القضاء والإفتاء والتدريس بالإقليم، أمثال الشيخ البكري بن عبد الكريم الذي أجازه قدوره بن إبراهيم

[1] –عبد القادر بقادر، المرجع السابق،ص90.

[2] – فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص ص85-87

الجزائري،والشيخ عمر بن عبد القادر التيلاني الذي تتلمذ على يد محمد بن عبد الله أمحمد مبارك السجلماسي[1].

أهم الرحلات:

كان للرحلات العلمية لعلماء توات أثر كثير في تكوينهم العلمي والثقافي،كما برز من خلال كتاباتهم لرحلات تفوقهم الأدبي والعلمي، وهذا ما ظهر جليا في تأليف المهتمين بأدب الرحلة[2]ومن ذلك:"تحفة الحجاز الى معالم أرض الحجاز"لسيدي عبد الكريم بن محمد التواتي(ت1042هـ) و"الرحلة الحجازية" لسيدي عبد الرحمن بن عمر التنلاني(ت1152هـ).

وكان للرحلات أثر بالغ في لفت الأنظار الى الاهتمام بالمنطقة وبيان آثارها وخصائصها فهي تمثل مادة خام وحية عن المكان والزمان الوارد دراسته ،بحكم أنها رصد حقيقي لشاهد عيان، وقد تنوعت الرحلة بتنوع الأغراض الى أنواع التالية:

-الرحلات الدينية الحجازية:وهي خاصة بأداء فريضة الحج.

-الرحلات العلمية:ويكون القصد منها طلب العلم وهي محور دراستنا.

-الرحلات الاستكشافية: وهي الغرض منها البحث عن المجهول.

-الرحلات الإدارية: وقد عرف هذا النوع بداياته مع التوسع الدولة الإسلامية.

-الرحلات الشخصية: بغرض الفرجة والتنزه[3].

أما عن أهم الرحلات بإقليم توات هي التي سجلتها مصادر التاريخية، هي تلك الرحلة التي قام بها الإمام المغيلي للحج، مع تلميذه سيد عمر الشيخ الكنتي

---

[1] - زينب سالمي، المرجع السابق، ص ص62-63.

[2]-هو فن نثري وصفي ،مدون في السفر بأسلوب مميز يشمل تاريخ الخروج والوصول الى المدينة، مع إعطاء لمحة وافية عنها، وعن رجالها، وذكر مراحل السفر والأودية والمراكز ورود الماء.أنظر:عواطف محمد يوسف نواب، **الرحلات المغربية والأندلسية**،مكتبة الملك فهد، الرياض،1996م،ص71.

[3]- عبد الله كروم، **الرحلات بإقليم توات، دحلب**، الجزائر، 2007م، ص ص37-41.

وقد ذكرها صاحب كتاب"الطرائف والتلائد في مناقب الوالدة والوالد"لصاحبه الحاج أحمد الكنتي[1].

ثاني رحلة عرفها الإقليم التواتي: هي رحلة عبد الكريم بن أحمد بن أبي محمد التمنطيطي، وسماها"تحفة المجتاز الى معالم ارض الحجاز" أما ثالث رحلة سجلت بالديار التواتية هي رحلة عبد الرحمن بن عمر التنلاني لسجلماسة، والرابع رحلة هي رحلة ضيف الله بن محمد بن أب المزمري سماها"الرحلة لزيارة قبر الوالد"[2].بالإضافة الى العديد من الرحلات المخطوطة لكن سنقتصر على الرحلات التي كانت في القرن الثامن عشر ميلادي نذكر منها:رحلة مولاي أحمد بن هاشم العموري، ورحلة عبد الله بن أحمد الفلانيالقبلاوي، وسنأتي هنا على ذكر ترجمة للشخصيات المذكورة سابقا:

1-الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي[3](ت 909هـ):

هو عالم جليل، كبير العلم والإسلام في توات، وأفريقية الغربية، تميزت حياته بالدعوة والإصلاح والجهاد،صال وجال مدافعا عن الإسلام بقلمه،ولسانه،وسيفه،فألف العديد من الكتب،وصال في إفريقيا و السودان الغربي تحديدا،معلما ومربيا واعيا الناس الى الخير والصلاح، وكان له الفضل في إجلاء اليهود من الديار التواتية[4].

يعتبر المغيلي رحالة بامتياز، وهو من أوائل من شغل فن الرحلات في توات، فقد نشأ في تلمسان وترعرع بها، إذ درس مبادئ العقيدة والفقه، وعلوم القرآن ثم ارتحل الى بجاية لطلب العلم إذالتقى بالشيخ عبد الرحمان الثعالبي، وتزوج ابنته ورفع لواء الدعوة الى الله باسم الطريقة القادرية، ثم عاد لتلمسان ولم يرضى عن حالها وأوضاعها، فارتحل منها غاضبا قاصد توات ومنها اتجه الى مملكة سنغاي(مالي)، وأوكل له أميرها" الحاج محمد اسكيا" ترتيب أمور السلطة، وألف له المغيلي رسالة

---

[1]- عبد الله كروم ،المرجع السابق، ص53.

[2]- حاج احمد الصديق، المرجع السابق،ص87.

[3]- نسبة الى قبيلة مغلية،التي هي إحدى قبائل البربر في المغرب من جيران قبائل حمير أمثال: كتامة وصنهاجة.أنظر:آدم عبد الله الألوري،**المغلي وآثاره في الحكومة الإسلامية في القرون الوسطى في نيجيريا**، دار الحلبي،مصر،1974م،ص11.

[4]- عبد الله كروم،المرجع السابق،ص 53.

الإمارة ومارس دعوته وإصلاحه هناك ثم عاد لتوات، فوجد اليهود قد بسطوا نفوذهم، وسيطروا على الإقليم، فهدم كنائسهم وأجلاهم من الإقليم،ورجع لتكرور[1].حج مع الشيخ عمر الكنتي[2]، حجته المشهورة والتي تعتبر من الإرهاصات الأولى لأدب الرحلة بالإقليم،وقد سجلها سيدي محمد بن سيدي المختار الكنتي في كتابه "الطرائف والتلائد في معرفة مناقب الوالدة والوالد" وقد خلف الإمام المغيلي آثار كبيرة منها مخطوط ومنها محقق، ومنها الموجود في خزائن ومنها الضائع ومن مؤلفاته:"البدر المنير على تفسير"و"مقدمة في اللغة العربية" و"مصباح الأرواح في أصوب الفلاح"و"الرد على المعتزلة"و"رسالة لكل مسلم ومسلمة""[3].

2-سيدي بن عبد الكريم بن أحمد بن أبي محمد التواتي المريني(994هـ/1042هـ):

هو أحد أعلام توات البارزين، إليه انتهت مشيختنا في زمانه، فلقب بعالم توات، وشيخ المشايخ[4]، كان عالما لغويا وشاعر وأديب بليغ وفقيه، درس على يد عدة علماء، وكان لهم الفضل في تكوينه من أمثال سيدي أحمد ابن أبي محلى السجلماسي وسيدي أحمد بابا التمبكتي صاحب كتاب"نيل الابتهاج بتطريز الديباج" والشيخ أحمد بن أحمد بن محمد المقري والمطلع على رحلته في طلب العلم يدرك أهمته العلمية إذ رتبها ترتيب معجمي أبجدي ويكثر من الأشعار على حسب الحروف من قوله أو منقول،رحل سنة 1042هـ، كما رحل الى طلب العلم فذهب للجزائر والى سجلماسة والمغرب الأقصى، وجالس علماء مصر، كما له علم غزير، وتلاميذ نقلوا العلم والمعرفة للأجيال ومن مؤلفاته:"تحفة المجتاز إلى معالم ارض الحجاز"و"وسيلة النجاة بأهل المناجاة"[5].

---

[1]- مبروك مقدم، **الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني**،ط1، مؤسسة الجزائر للكتاب،الجزائر،2001م،ص33.

[2]- الشيخ عمر من آل الرقاد، وتلميذ الشيخ المغيلي ووارث علمه وأسراره، ومنه تنتقل سلسلة أوراد الطريقة القادرية بقبيلة كنته.أنظر: عبد الله كروم،المرجع السابق،ص54.

[3]-عبد الله كروم، المرجع السابق،ص55.

[4]- حاج أحمد الصديق،المرجع السابق، ص 75.

[5]- عبد الله كروم، المرجع السابق،ص ص56-57.

3- الشيخ عمر بن عبد القادر التنلاني(1098هـ-1152م):

هو أبو حفص سيدي عمر بن عبد القادر بن أحمد بن يوسف التينلاني ولد في 1098م كان أحد الأعلام، إماما في المذهب المالكي، كبير القدر وافر الهمة عظيم الحرمة، رحل في طلب العلم، منوها بشغفه في طلب العلم منذ نعومة أظافره، وبعد رحلته العلمية عاد الى بلدته تيلان، وتولى التدريس والقضاء، فانتفع من علومه رجال عديدين، بل صار الأب الأعلى لبقايا العلماء التواتيين، ولذلك حاز على لقب الشيخ الأكبر.من تلاميذه: الشيخ سيدي عبد الرحمن بن عمر التنلاني والشيخ سيدي عبد الرحمن الجنتوري.مال في آخر عمره الى الاعتزال وغلب عليه التصوف والزهد حتى وفاته في 03ربيع الأول 1152هـ[1].

4- الشيخ سيدي عبد الرحمن بن عمر التلاني(ت1189هـ):

هو ابوزيد سيدي عبد الرحمن التنلاني، أحد العلماء والعالمين المجدين، إليه انتهت الفتوى في زمانه، وصفه صاحب"قطف الزهرات" بقوله:"هو شيخ الشيوخ، ومنبع الفيض والرسوخ، عالم الأعلام، ومرشد الإسلام"[2]،يعتبر رحالة بامتياز[3]،إذ صال وجال، فارتحل الى سجلماسة، وبلاد تكرور، وأوران ثم رحل الى الحج وهي مرحلة أبدع فيها، ويعتبر عميد أدباء الرحلة في توات، لأنه خلصه من تبعات فن الإجازة[4]خصوصا في رحلته الأخيرة للحج، ومن شيوخه سيدي عمر بن عبد القادر التنلاني و شيخ محمد بن أب المزمري، وتخرج على يده مشايخ فضلاء وعلماء أجلاء منهم ابنه محمد بن عبد الرحمن، والقاضي عبد الحق بن عبد الكريم البكري المريني، والشيخ سيدي محمد الزجلاوي، توفي بمصر بعد رجوعه من الحج في 29صفر1189م[5].

---

[1]-محمد باي بالعالم، المرجع السابق،ص52.

[2]- محمد عبد العزيز سيدي عمر، **قطف الزهرات من أحبار علماء توات**، مدرسة البخاري،الجزائر،2002م،ص99.

[3]-أنظر:محمد باي بالعالم ، **الغصن الداني في ترجمة الشيخ بن عمر التلاني**،(د.ن)،الجزائر،2004م،ص58.

[4]- هو إعطاء الإذن من المجيز الى المجاز له بالتحدث بماله من رواية، أو إسناد.أنظر:عبدالرحمن،**أدب الإجازة في إقليم توات إبان القرنيين التاسع عشر والعشرون ميلاديين** ،مذكرة ماجستير، كلية الآداب ولغات، أدرار،(م2014/2013م)،ص11.

5-عبد الله كروم،المرجع السابق،ص60.

5-الشيخ ضيف الله بن أب المزمري(1122هـ توفي أواخر ق12هـ):

هو ضيف الله ين محمد بن أب المزمري ولد في 16شوال 1122هـ.تعلم ودرس على يد والده، وكانت الرحلة من اجل زيارة قبر والده بمنطقة تيميمون وسماها"الرحلة في زيارة قبر الوالد"ن وذكر فيها شيوخه، والقرى والأماكن التي رآها وأكثر فيها من الشعر و المدح والنكت وفوائد فقهية وأدبية، برز في النحو والعربية والشعر[1].

6- مولاي أحمد بن هاشم العموري(ت:أواخرق12هـ):

هو رحالة قام بزيارة أجداده في قصر المستور بلدية سالي سنة 1123هـ، وزار فيها قرى تواتيه عدة، وذكر فيها ما رأى، إلا أن المصادر التاريخية، لم تحفل بترجمته كثيرا، ولكن سلطت الأضواء على رحلته والتي ذكرها "مارتان" في كتابه"أربعة قرون من تاريخ المغرب" وهي تعطينا صورة عن واقع الحياة في إقليم توات في ذلك العصر،وتميزت رحلته بالتركيز على الأنساب والأعراف خاصة قبيلته[2].

7-عبد الله بن أحمد الفلاني القبلاوي(ت أوائل ق13هـ):

تحدث في رحلته عن مسيرته في طلب العلم في توات، كما ركز على ذكر بعض الأحداث السياسية ومعانات التي كان التواتيون يعانون منها بسبب الضرائب والأتوات[3].

1) دور علماء توات في السودان الغربي:

اشتهر علماء توات برحلاتهم العلمية الى المراكز الحضارية الكبرى في العالم الإسلامي(أنظر الملحق رقم04 ص76)، وذاع صيت الكثير منهم في العواصم الثقافية خاصة بلاد السودان، وقد ذكر أصحاب التراجم جمهرة من العلماء توات ذاع صيتهم في الحواضر الإسلامية[4]، منهم الفقهاء والأساتذة في جوامع القرويين والأزهر...الخ، ومدرسون ورجال دعوة في غرب إفريقيا، وكان لعلماء

---

[1] -عبد الله كروم، المرجع السابق،ص62.

[2] - نفسه،ص89.

[3] - عبد الله بن عبد العزيز، **الرحلات من المغرب وإليه عبر التاريخ**، ط1،دار النشر المعرفة،المغرب،2001م،ص20.

[4] - أنظر:الحفناوي ابوالقاسم، **تعريف الخلف برجال السلف**، مطبعة الثعالبي،الجزائر،1906م.

توات حضور قوي في مدينة تمبكتو التي استقطبت إليها رجال العلم والدعاة والتجار منذ القرن الرابع عشر ميلادي[1].

وكان لعلماء توات دور مميز في نقل الإشعاع الثقافي الإسلامي، الى الشعوب الإفريقية، وتشييد صروح التمدن والحضارة، إذ يؤكد أغلب المؤرخين على دورهم الفاعل في نضج وقوة الممالك الإسلامية التي عرفتها إفريقيا الغربية بدءا من القرن الخامس عشر ميلادي، وفي عهد الازدهار الحضارة الإسلامية انتشرت المدارس والمعاهد الإسلامية بفضل جهود علماء المغرب الإسلامي، وخاصة التواتيين منهم الذين تميزوا عن أقرانهم بحركتيهم النشطة وصبرهم الجلد وتأقلمهم وتعايشهم مع السكان الأصليين، وقد انتظمت الزيارات العلمية لعلماء توات إذ يذكر المؤرخون أن ملك مملكة برنوكداي(1440م-1447م)بعث رسالة لعلماء توات يطلب منهم إرسال بعثات علمية لبرنو[2].

لقد ساهم كل من الفقيه والتاجر التواتي في مد مناطق السودان الغربي بأفكار والتعاليم الإسلامية كل حسب طريقته الخاصة، فالفقيه عمل عن طريق التدريس والإرشاد والتاجر اجتهد عن طريق المجالس واللقاءات في الأسواق والمحافل العامة في بث تعاليم طريقته الصوفية التي يعتنق مبادئها، وقد مهد علماء توات لنشر الإسلام في هذه المناطق النائية سواء من خلال تعليمهم للطلبة السودانيين أو انتقالهم الى مناطق السودان، مثل ما فعل الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني الذي استقر مدة في الشمال نيجيريا مدرسا وداعيا وزار بلاد هوسا وكانوا[3].

وبفضل سياسته في الإصلاح والدعوة والتقرب من السلاطين استطاع أن ينشر الإسلام بين المناطق الوثنية وأن يوطد دعوته، وكان لجهوده دور بارز في إرساء علاقات وطيدة مع السودان الغربي.ومنذ 15م أصبح إقليم توات مركزا أماميا لنشر الإسلام في المناطق الصحراوية للسودان

---

[1]- يحي بوعزيز، **تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر الى مطلع القرن العشرين**، دار الهومة، الجزائر،2001م،ص194.

[2]- نفسه،ص195.

[3]- مبروك مقدم، المرجع السابق،ص ص93-94.

الغربي، وبعده تواصلت هجرة التواتيين واستقروا أفرادا وجماعات في حواضر الإفريقية، إذ استقر التجار والعلماء في تمبكتو، وأصبحت الجالية التواتية بها من أكبر وأنشط الجاليات.وانتشر الإسلام كذلك بفضل نشاط الطرق الصوفية وامتدادها بين أوساط سكان إفريقيا الغربية[1].

تميز علماء توات بنبوغ في العلم وخفة الحركة ومخالطتهم للسكان الأفارقة، وقد اختار الكثير منهم طريق الدعوة للإسلام الى جانب التجارة وهذا ما ساهم في نشر الإسلام ودخول الأفارقة للإسلام بطريقة سليمة، وقد فتح لهم الباب الإمام المغيلي، حتى تعود علماء توات على زيارة الأقاليم السودانية، والمكوث بها لتدريس العلم وإمامة المسلمين ونشر الإسلام ولم يكن المغيلي وحده الذي حضي بتكريم والإشادة فقد رحب ملك برنو" كداي"بالشيخ محمد الطاهر الفلاني ولاه خطة السلطان[2]، وقد ذكر عبد الرحمن السعدي أن كثيرا من علماء توات استقروا في تمبكتو منهم الشيخ أبا القاسم التواتي الذي كان محل احترام وتقدير والجميع حتى السلطان أسقيا"الحاج موسى" أن يحرص بعد كل صلاة على الالتقاء به لتسليم عليه والتبرك به[3].

لقد لعبت القبائل التواتية بهجراتها الجماعية الى السودان في تفعيل أواصر العلاقات بين الإقليمين وقدر لبعض القبائل أنترسخ نفوذا سياسيا ودينيا ومن أشهر هذه القبائل التي كانت فاعلة قبيلتي كنتة وفلان[4].

أ-قبيلة كنتة:

كان لهذه القبيلة دور بارز في نشر الإسلام في إفريقيا، وهي تنتسب الى الصحابي الجليل عقبة بن نافع القهري وهي من سلالة الزاهد المتوفى بمستغانم، رحل حفيده عثمان الى توات واستقر بقرية عزي،الى أن توفي وخلفه ابنه يحي الذي كان مدرسا وعالما مصلحا، وانتقل ابنه الوحيد علي الى واد

[1]- حاج احمد الصديق، المرجع السابق،ص99.

[2] - آ دم عبد الله الألوري،المرجع السابق،ص31.

[3]- أنظر عبد الرحمن السعدي المصدر السابق،ص222.

[4] - عبد الرحمن بن حسان، المرجع السابق، ص30.

نون وتزوج ابنة زعيم قبيلة"ابدوكال" محمد بن كنتة بن زم وعرف أحفاده بالعلم والصلاح ارتحلوا الى الساقية الحمراء واستقر بعضهم بصفك، هناك ولد أحمد الكنتي ونبغ في العلوم ورحل لنشر علوم الشريعة واللغة في بلاد السنغال، عاش في القرن 15م وخلفَ ثلاث أبناء ترجع لهم أصول القبيلة الكنتية وهم: أبو بكر الحاج ومحمد الكنتي الصغير وعمر الشيخ وأعتبر البعض أن محمد البكاي أب جميع الكنتين، أشتهر الكنتيون بظاهرة الترحال فانتقل الكثير من علمائهم الى بلاد تكرور، وأدت ظاهرة الحل والترحال بين توات وتكرور الى استقرار الآباء وعودة الأحفاد،فبينما استقر محمد أبي الكنتي عاد حفيده المختار الكنتي للاستقرار بزاوية كنتة[1]، وحينما استقر محمد أبي النعامة بتوات عاد حفيده أبا محمد بونعامة الى السنغال، وقد كان الشيخ المختار الكنتي(1730م-1811م) مصلحا كبيرا اجتذب للزاوية القادرية خلقا من أتباع المريدين الذين انتشروا في إفريقيا، وأصبح له نفوذ سياسي بارز في صحراء والسودان الغربي وقد قال عنه المستشرق الفرنسي"بولمارتي":"كان السيد الذي وطد وأنار المشايخ طريق إيمانهم، والزعيم الديني الذي أدخل في الإسلام الأقوام الوثنية وبالإضافة الى مكانته عند قبائل الصحراوية، فإن ذكراه كانت أكثر من غيره حيوية، وبقاء في السنغال وغينيا وساحل العاج الشمالي،بل في كل السودان المسلم.."[2].

ب- قبيلة فلان:

هي الأخرى ساهمت في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، وتجمع المصادر التاريخية على إرجاع نسب قبائل فلان الى عقبة بن نافع، وقد قيل أن الفلان من ولد جعفر ابن أبي طالب، وقيل من أبناء أبي بكر الصديق[3].وقد استوطنت قبيلة فلان بلا شنقيط، وانتقلت بعض فروعها الى بلاد مالي وتكرور والسنغال، وأنشئت هناك العديد من القرى والمدن، ويمثل الفلان اليوم أكبر تجمع سكاني في الغرب الإفريقي، وقد عرفوا في التاريخ بلقب شعب الدعاة للإسلام، إذ حملوا من موطنهم الإسلام

[1]-أحمد شلبي، **موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية**،ط1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،1999م، ص211.

[2] - نفسه، ص212.

[3]- محمد باي بالعالم،**قبيلة فلان في الماضي والحاضر**، دار الهومة، الجزائر،(د.ت)،ص ص5-9.

بالسواحل الأطلسية الى داخل العمق الصحراوي حتى وصلوا بحيرة تشاد، وهم اليوم منتشرون في ثمانية عشر بلدا، وتتمركز تجمعاتهم الكبرى في نيجيريا والسنغال وغينيا ومالي والكاميرون والنيجر والسودان[1].

وقد نبغ العديد من علماء فلان بمنطقة ساهل أقبلي وساهموا في نقل العلوم والمعارف الى بلاد السودان،سواء منهم الذين استقروا هناك أو الذين درسوا طلبة السودان بمنطقة أقبلي منهم:

- الشيخ محمد الحسن بن محمد بن الحاج أحمد الفلاني: ولد سنة 1283هـ ببلدة ساهل أقبلي، من أسرة مشهورة بالعلم والتقوى وأخذ عن العلامة حمزة بن الحاج أحمد الشيخ مختار بن سيدي أحمد بن بالعالم نبغ في الفقه والحديث، زار العديد من الأسواق الصحراوية وأرسى علاقات وطيدة مع علماء السودان منهم الشيخ الكنتي[2].

- عبد الرحمن السكوتي: هو محمد عبد الرحمن السكوتي ولد بقرية ساهل اقبلي سنة 1285هـ ودرس على مشايخ القرية واستفاد من مجالس الشيوخ حتى برع في العلوم الشريعة واللغة، ألف أرجوزة في العلم الفرائض وكتاب في علم المنطق، وله مجموعة هامة من القصائد منها ماهو مدح لأهل إنغر إثر انتصارهم على الفرنسيين، كما ارتبط بعلاقات صداقة مع علماء وأعيان أزواد وقد عرف بدعوته الإصلاحية في ورقلة وعين صالح والسودان، إذ شن حملة ضد الخرافات السائدة في المنطقة وظل على هذا العهد داعية مجدد الى وفاته في عام 1911م[3].

وبهذا نصل الى تأكيد أن علماء توات نبغوا في مختف العلوم وذاع صيتهم إذ قاموا إذقاموا بدور بارز في نشر الإسلام والثقافة العربية وقد كانوا يجوبون مناطق الغرب الإفريقي وينهضون بمهام التعليم والوعظ والإرشاد، ويتقربون من الحكام ويرشدونهم الى مافيه خير الدين وللعباد.

---

[1]- عبد الله الألو ري، **الإسلام في نيجيريا**،ط،(د.ن)،القاهرة،1978م،ص92.

[2]-محمد باي بالعالم، المرجع السابق،ص33

[3]- نفسه، ص42.

II. المبحث الثاني: الزوايا والحياة الثقافية.

عرفت منطقة توات انتشار واسع للزوايا[1] والطرق الصوفية[2] التي كانت لها نشاط كثيف بها، فقد ظهرت بالمنطقة عدة زوايا (أنظر الملحق5،ص77)تنتهج طرق صوفية عديدة: كالشاذلية والقادرية والتيجانية و غيرها من الطرق الصوفية المتفرعة عنها والتي لعبت دورا كبير في منطقة توات شملت مختلف النواحي، خاصة وأن الظروف في إقليم توات كانت مناسبة، جعلت السكان يتعلقون بشيوخ هذه الطرق الى حد التقديس وهذا ما تدل عليه عاداتهم وتقاليدهم ومعاملاتهم اليومية، وليس هذا فحسب بل وصلت هذه الزوايا والطرق الصوفية الى أقصى جنوب توات ومنه الى المناطق المجاورة في غرب إفريقيا والتي تأثرت هي الأخرى بظاهرة التصوف[3].

1) أهم الزوايا والطرق الصوفية:

منذ دخول الطرق الصوفية لمنطقة توات وانتشارها، أصبحت الحياة الروحية بالإقليم تقوم على نشاط هذه الطرق التي قادها شيوخ أجلاء حملوا على عاتقهم مهمة نشر الإسلام وتعاليمه الصحيحة بالإقليم وخارجه وكما هو معروف أن الزوايا وليدة الطرق الصوفية، لذلك كان بعض مشايخ وفقهاء توات يبنون الزوايا ويتخذونها أماكن للخلوة والتعبد وتخصيص جانب منها للتدريس فنذكر منها:[4]

---

[1] – تعني اتخاذ المرء مكانا معزولا لتجنب الاختلاط مع الناس، حتى لا يشتغل باله بشيء آخر غير الذي يفكر فيه ولا يلتهي بأمر غير الذي يسعى إليه كالصلاة وتسبيح والدعاء، وتلاوة القرآن والأوراد.أنظر:عبد المنعم الحفني، **الموسوعة الصوفية**، ط1، مكتبة المبدولي،مصر، 2003م،ص773.

[2] – هي عكوف على عبادة والانقطاع الى الله والإعراض عن زخف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والإنفراد عن خلق في خلوة للعبادة...أنظر: عبد الرحمن ابن خلدون،**المقدمة**، ط2، دار صادر، بيروت،2005م،ص375.

[3] – زهرة مسعودي، **الطرق الصوفية بتوات علاقتها بغرب إفريقيا من القرن18م الى القرن20م**، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية والإسلامية،أدرار،(2009م-2010م)،ص29.

[4] – صالح بو سليم، **مؤسسة الزوايا بإقليم توات خلال القرنيين(12هـ و13هـ/18م و19م)**،**مجلة الواحات للبحوث والدراسات**، العدد2010،09م،ص100.

أ- الطريقة الشاذلية وفروعها:

يرجع تأسيسها الى أبي القاسم الجنيد، الذي تأثر به الشيخ أبي مدين شعيب الأندلسي(ت594هـ) والذي تتلمذ على يده الشيخ عبد السلام بن مشيش وحقيقة الأمر يعود مصدر الشاذلية الى هؤلاء العلماء الثلاث الذين تأثر بهم أبو الحسن علي الشاذلي(593هـ-1192م)والذي استند الى أفكارهم وأدائهم لتكوين الطريقة الشاذلية ونسبت إليه وانتشرت هذه الطريقة بشمال إفريقيا، ومنها الى غرب إفريقيا ثم مصر والمشرق العربي، وتفرعت عنها عدة طرق منها: الزرقية نسبة الى الشيخ أحمد زروق الفاسي(ت829هـ), والعيساوية نسبة الى الشيخ محمد بن عيسى، الحنصالية نسبة الى شيخ سعيد بن يوسف الحنصالي(ت1702م)[1].

أما عن فروعها بتوات نجد:

-الموساوية(الكرزازية):تنسب الى مؤسسها أحمد بن موسى الكرزازي ولد بفاس،حفظ القرآن وتعلم مختلف العلوم على يد علماء ومشايخ أجلاء بالمغرب الأقصى، وأخذ التصوف عن أحمد بن يوسف الملياني وشيخ محمد بن عبد الرحمن السهلي، واتجه الى قرية سيدي موسى حيث أسس زاوية للطلاب، وأصبح زاوية مشهورة بفضل حفيده سيدي عبد الرحمن بن أحمد بن موسى المعروف بابي فلجة[2].

وللطريقة الكرزازية بتوات نفوذ كبير مكنها من مقاومة الفرنسيين ومؤيديهم، كما كانت لها موافق صلبة ضد كل ماكان يصدر من قبلهم، وتؤكد الإحصائيات أن هذه الطريقة لها ألفيين وتسعمائة وأربعة وعشرون من الإخوان[3].

-الشيخية: تأسست من قبل الشيخ عبد القادر بن محمد المولود سنة1533م بضواحي الشلالة الظهرانية، يعرف باسم "سيد الشيخ"، تعلم على يد واله محمد بن سليمان بن أبي سماحة، وعمه شيخ أحمد المجذوب،قرأ القرآن وأتقن حفظه، اتجه الى القورارة ثم فقيق إذ أخذ من العلامة سيدي

---

[1]- زهرة مسعودي، المرجع السابق،ص36.

[2]- محمد صالح حوتيه، المرجع السابق،ص191م.

[3]- سعد الله أبو القاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج4، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، ص89.

محمد بن عبد الجبار بن أحمد، وأخذ من الشيخ أبي عبد الله سيدي محمد بن عبد الرحمن السهلي، الذي لقنه طريقته بسند أبي الحسن الشاذلي[1].أسس الشيخ عبد القادر ببلاد الفقيق زاوية سماها"العباد" وزاوية أخرى"السهلي" بالإضافة الى زاوية في الأبيض سيدي الشيخ، فكانت مكان يأوى إليه الفقراء والزائرين والضيوف ومكانا للتربية والتعليم، وقد انتشرت الطريقة بتوات عن طريق تلاميذه المنتشرين بالإقليم منهم: محمد عبد الله الجوزي دفين أولاد سعيد والحاج أبو الحفص بالقورارة[2].

– الطيبية: تنسب الى مولاي الطيب بن سيدي محمد بن سيدي مولاي عبد الله الشريف الوزاني، ولد سنة1597م بتازرون، وانتقل الى وزان وبها ضريحه، أخذ عنه علماء كثيرون من شيوخ هذه الزوايا: مولاي وتهامي، مولاي الطيب، ومولاي الهاشمي، ومولاي العربي، ومولاي المكي. دخلت هذه الطريقة لتوات عن طريق محمد بن عمر المهداوي التمنطيطي، ثم انتشرت بتمنطيط وبودة[3].

– الزيانية: تأسست من قبل محمد بن بو زيان(ت1145هـ) تعلم في فاس تافيلالت، ثم اتجه الى المشرق العربي، اعتمد في طريقته على تعاليم الطريقة الشاذلية، استقر بالقنادسة بولاية بشار وبني زاوية بها حيث كانت مركز علمي هام يتوافد عليه الزوار وطلاب العلم من كل مكان ودخلت لتوات عن طريق الشيوخ نذكر منهم: الولي الصالح مولاي عبد الله الرقادي(ت1107هـ)و الشيخ سيدي عومر بن عبد الله القادر التنلاني[4].

ب– الطريقة التيجانية والطريقة و السنوسية:

1–التيجانية: تنسب الى الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار التجاني المولود سنة1737م بعين ماضي في الأغواط، حفظ القرآن في سن مبكر، ودرس العوم الشرعية والأدبية وتضلع فيها ثم

[1]– زهرة مسعودي، المرجع السابق،ص40.

[2]– محمد صالح حوتيه، المرجع السابق، ص202.

[3]– زهرة مسعودي، المرجع السابق، ص42.

[4]– نفسه، ص43.

اتجه الى فاس 1758م لطلب العلم ثم حج سنة1773م ليعود بعد ذلك الى فاس ثم تلمسان ومن خلال رحلته هذه أخذ التصوف عن عديد من الشيوخ في الجزائر والمغرب والمشرق لذل نجد التجانية هي نتاج لعدد من الطرق التي أخذ عنها الشيخ أحمد التجاني[1].توفي التيجاني سنة 1815م بفاس وبعدما أسس زاويا كبرى في عين ماضي وأبي سمغون وتماسين وورقلة، اهتم التيجاني بنشر طريقته أثناء تنقله بين عين ماضي وأبي سمغون وتوات بالإضافة الى تونس والصحراء والسودان الغربي حيث كان يؤسس زوايا أحيانا ويعين مقدمين أحيانا أخرى[2].

انتشرت الطريقة التيجانية بشكل واسع في إفريقيا عموما ومنطقة توات خاصة وذلك لسهولة تعاليمها وملائمتها مع تطور الحياة، مع استغلال القوافل التجارية في نشر الطريقة وقد دخلت لتوات بفضل الشيخ "سيدي العين صالحي" إذ بنى زاوية بعين صالح، ودخل على يده عدد كبير من الطوارق للإسلام[3].

3- الطريقة القادرية:

هي من أقدم الطرق الصوفية ظهرت في القرن5هـ يرجع تأسيسها الى محي الدين عبد القادر الجيلاني ولد سنة(471هـ/1077م)بجيلان بفاس تعلم هناك،ثم انتقل الى بغداد عام 1095م لإكمال تعليمه، عرف عنه التقوى والحب وعند تصوفه لبس جبة الصوف ومشى حافيا، توفي في عام1165م وقد ترك مؤلفات عديدة، وعرفت انتشار واسع منذ ظهورها في مختلف أنحاء العالم الإسلامي من طرف ابنه عبد العزيز وإبراهيم وشيخ أبي مدين الغيث.[4]

وقد كان للشيخ المغيلي، دور هام في نشر الطريقة في توات خلال قرن15م إذ أسس زاوية قادرية بقصر بوعلي سنة1480هـ، كانت مركزا هام للتعليم ونشر الإسلام ومركز للجهاد ضد اليهود ومحاربة

---

[1]- عبد الكريم بوالصفصاف، **التصوف مفاهيمه وأبعاده**، الملتقى الدولي11،جامعة أدرار،2008م،ص19.

[2]- زهرة مسعودي، المرجع السابق،ص45.

[3] - محمد صالح حوتيه، المرجع السابق، ص212.

[4]- نور الدين طوبة، **دور الصوفية في الدعوة الشيخ عبد القادر الجيلاني نموذج**، الملتقىالدولي11، ص482.

البدع والخرافات فكان لها نفوذ واسع بتوات وغرب إفريقيا ولها العديد من الأحباس والأوقاف والمتمثلة في بساتين وأراضي وبيوت أوقفها أصحابها على الزاوية، وبالقرب من التمنطيط أسس شيخ البكري بن عبد الكريم(ت1133هـ)الزاوية البكرية في القرن17م[1].

كما ساهمت قبيلة كنتة بتوات مساهمة فعالة في نشر الطريقة القادرية بغرب إفريقيا حيث خرج منهم عدد كبير من الفقهاء والشيوخ أسسوا للطريقة بالمنطقة كما ذكرنا سابقا محمد المختار الكنتي، وتجدر الإشارة الى أن استقرار الكنتيين بتوات كان عاملا أساسيا في إكسابهم مكانة هامة في توات، خاصة بعدما أسسوا زوايا رئيسية لعبت دور أساسي في جعل سكان متفقهين في علوم الدين واللغة العربية ونشر مناهج الطريقة ومن هذه الزوايا الزاوية الكنتية تأسست سنة1202هعلى يد أحمد بن محمد الرقاد، وزاوية بونعامة المعروفة بزاوية الهامل بأقبلي على يد محمد بونعامة في القرن13هـ وزاوية سيد المختار الشيخ بقصر الجديد في القرن 12هـ و عرفوا منذ ذلك بأهل العلم والولاية وزاوية تمادين في القرن12هـ ووهي لازالت مركز إشعاع علمي يتوافد عليها الطلبة، أما عن فروعها بمنطقة توات فتوجد البكائية الكنتية التي أسسها الشيخ عمر بن الشيخ أحمد البكاي في القرن10هـ وتتلمذ على يد الشيخ المغيلي وأخذ في نشر الطريقة في توات وغرب إفريقيا لتبلغ أوج انتشارها من طرف الشيخ المختار الكنتي[2].

2) مساهمة الزوايا في العلاقات الثقافية:

لم تقتصر الزوايا في انتشارها على الإقليم، وإنما امتدت لتشمل مناطق غرب إفريقيا، حيث كان لرجال توات الدور الفاعل في هذا الامتدادنظرا للحدود المشتركة بين المنطقتين ولاشتراكهما في خصائص عديدة، طبيعية بشرية بهذا وجدت الزوايا والطرق الصوفية في المنطقة غرب إفريقيا مناخا آخر مناسبا لنشاطهما وتوسعها فاستطاعت بمرونتها أن تؤثر على شعوب غرب إفريقيا الذين تأثروا

[1]- فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص114.

[2]- عبد الكريم بوالصفصاف، المرجع السابق، ص ص14-15.

بها تأثروا بها تأثر كبيرا[1]

فقد كان لنضام الزوايا التي أنشأها رجال التصوف وفقهاء والتجار، دور رئيسي في تثبيت دعائم الإسلام بربوع القارة السمراء، وهذا ينطبق على علماء توات ورجالها اشتهروا بكثرة رحلاتهم وكثرة بنائهم للزوايا المتعددة الخدمات والمهام، فهي كانت تقوم بدور العبادة والتربية والتعليم في آن واحدكما كانت عبارة عن مراكز لإقامة الطلبة ونزول المسافرين وإيواء الفقراء وأبناء السبيل[2].

إن خدمات الزوايا وأنظمتها ونشاط رجالها ساعدت كثيرا في انتشار الإسلام في غرب إفريقيا، وفتحت الطريق أمامه نحو بقية الوثنيين، وقد ساهمت بعثات الزوايا التواتية في نشر مبادئ الإسلام وتأسيس زوايا فرعية، وفي نفس الوقت ظلت تستقبل الوافدين من هذه الأقطار لارتواء من منابع الثقافية الإسلامية[3].

فقد كان للزاوية التواتية في إفريقيا الغربية الفضل الأكبر في تحقيق التعريب الشامل بين الناس، على سبيل المثال قبيلة كنتة في بلاد السودان الغربي، وذلك بما قامت به من مهام تعليمية أسهمت بها في نشر اللغة العربية وتأليف عدد من المصنفات اللغوية والأدبية من طرف علمائها كان لهم الفضل في المحافظة على الثقافة الإسلامية، دون أن ننسى مشاركة شيوخ كنتة في الدعوة للتصوف ونشر الطريقة القادرية التي عمقت الإحساس الديني وأثرت تأثير ايجابي في مجال الثقافي لسكان بلاد السودان الغربي[4].

فبعد استقرار الشيخ المغيلي بتوات وبنائه للزاوية القادرية، فوجد الجو مهيئا أمامه في نشر الدين الإسلامي بمناطق الهوسا وأصبحت توات بالنسبة له قاعدة رئيسية ينطلق منها الى هذه المناطق لنشر الإسلام بين القبائل وتعليم مسلميهم أصول الدين ويفتي للملوك والأمراء في مسائل والقضايا

[1]- صالح بوسليم،المرجع السابق،ص110.

[2]- بهية بن عبد المومن، المرجع السابق، ص96.

[3]- فرج محمود فرج، المرجع السابق،ص165.

[4]- صالح بوسليم، المرجع السابق،ص112.

المستعصية عليهم، وبعد وفاته استمر التواتيون يغذون هذه المناطق بأفكار و الثقافة الإسلامية، فقد استقر كثير من تجارهم بمدينة تمبكتو وساهموا في بناء الزوايا والمساجد في داخل تمبكتو[1].

وكان العلماء والدعاة المسلمين التواتيين يجوبون البلاد الإفريقية المجاورة، ينشرون فيها مبادئ الإسلام وتعاليمه بين الأفارقة بتلقين القيم والأخلاق الفاضلة والشعائر التي يؤدونها بأحاديثهم للناس وتعليمهم ووعظهم، وكان الأمراء الأفارقة يعتنقون ويتخذون شيوخا من أهل الزاوية التواتية يعلمونهم أحكام الدين و يقرئنهم ويأمون بهم الصلاة ويبذلون النصح للمسلمين، كما فعل الشيخ المغيلي والشيخ أبو القاسم التواتي والشيخ أحمد البكاي وغيرهم من مقدمي الزاوية التواتية[2].

وبانتشار التصوف بغرب إفريقيا خلال القرنيين18م و19م أدى الى تغير جذري داخل المجتمع الإفريقي من جميع النواحي خاصة الدينية والثقافية، فإلى جانب نشرها للدين الإسلامي والقضاء على البدع والخرافات التي كانت سائدة داخل المجتمع الإفريقي، وساعدت على خروج المنطقة من العزلة والانفتاح على العالم الخارجي واتصالها به كما ساعدها على استيعاب المفاهيم الحضارية بشكل دقيق واسع وفتح لها الباب على مصرعيه لولوج عالم التطور والحضارة، الى جانب ذلك كان لطرق الصوفية دور هام في المجال الثقافي خاصة وأنها كانت تعيش مستوى ثقافي متدني،ويظهر الدور الثقافي لهذه الطرق في نشر الثقافة العربية الإسلامية، هذا إضافة الى مؤلفات أقطاب الصوفية بالمنطقة مثل:عثمان بن فوده صاحب كتاب"إحياء السنة واجتهاد البدعة" والحاج عمر الفلاني صاحب كتاب"رماح حزب الرحيم نحو الرجيم"[3]. تجمع دراسة المستشرقين على أن حتى القرن 19م كانت اللغة العربية تعتمد بشكل كبير في غرب إفريقيا إذ يقول"توماس أرنولد" في كتابه دعوة الإسلام:"بلغت اللغة العربية حدا يفوق الوصف بل أنها أصبحت لغة التخاطب بين قبائل بعض

---

[1]- محمد صالح حوتيه، المرجع السابق،ص169.

[2]- أحمد حسن محمود، **الإسلام والثقافة العربية الإسلامية في إفريقيا**، مدبولي، مصر، 1963م، ص236.

[3]- زهرة مسعودي، المرجع السابق،ص80.

القارة السمراء وهي الى ذلك لغة الشريعة المكتوبة، وهذا تقدم هائل للحضارة الإفريقية"[1].

III.المبحث الثالث: علماء توات خلال القرن18م

لقد شهد إقليم توات حركة علمية وأدبية في القرن18م ظهر خلالها علماء تركوا بصمتهم في ميدان التعليم والتأليف، حتى بلغ صيتهم الأقطار المجاورة فاس، وتونس، ومصر، وبلاد السودان الغربي، وقد بلغت تلك الحركة أوجها في القرنيين الثاني عشر والثالث عشر هجري(18م و19م) لما ظهر فيهما من علماء ولما ألف فيهما من مؤلفات علمية[2].وعلى غرار الشخصيات العلمية المذكورة سابقا في الرحلات والزوايا نذكر بالإضافة إليهم هذه الشخصيات التي كانت لها هي الأخرى بصمتها في الإقليم في القرن18م:

- الشيخ البكري بن عبد الكريم(1042هـ-1133هـ/1632م-1720م):كان شيخا عالما عارفا، من شيوخه السيد محمد بن علي الوقروتي، والشيخ سعيد قدوره الجزائري والشيخ محمد القاضي التواتي، كما أجازه الإمام خرشي أخذ طريقة التصوف من الشيخ محمد بن عمر البدوي،أن كثير الاجتهاد في شتى الفنون، أخذ عنه جمع كثير من الطلبة منهم أبناؤه الأربعة: محمد صالح، وعبد القادر، ومحمد وعبد الكريم، ولي القضاء في توات سنة1092هـ وتوفي في سنة1727م[3].

- الشيخ عمر بن محمد المصطفى بن أحمد الرقادي(ت1157هـ/1744/):يعود نسبه الى عائلة كنتة، أخذ العلم عن عدة مشايخ منهم:محمد صالح بن المقداد ومحمد بن أب وعومر التواتي، له ديوان شعري، توفي عام(1157هـ/1744م)[4].

- الشيخ محمد بن أب المزمري(ت1160هـ/1747م): هو شيخ محمد بن أب بن حميد بن عثمان

---

[1]- احمد حسن محمود، المرجع السابق،ص245.

[2]- صالح بو سليم، **الحياة العلمية والثقافية في توات بالجزائر خلال القرنيين18م و19م**، **المجلة التاريخية المغاربية**، ع131، تونس،مارس2008م،ص225.

[3]- محمد عبد العزيز سيد عمر، المرجع السابق،ص119.

[4]- محمد صالح حوتيه، المرجع السابق،ص277.

بن أبي بكر المزمري، أخذ الفقه عن الشيخ محمد صالح المقداد، والشيخ عمر بن مصطفى الرقادي، برع في اللغة العربية والنحو والأدب ونظم الشعر، له عدة مؤلفات في الفنون كما كان له قصائد عديدة المدح للنبي صلى الله عليه وسلم، في والشعر التعليمي، من مؤلفاته:"نزهة الحلوم ابن أجروم" و "نظم معاني في بعض حروف البحر"، توفي في العاشر من جماد الثاني عام(1160هـ/1747م)[1].

-عبد الرحمن بن إبراهيم التواتي(ت1160هـ/1747م): أصله من قرية"تيطاف" من قرى توات أخذ عن والده وعن ابن عمه عبد العالي بن أحمد بن عبد الرحمن، تتلمذ على يد الشيخ أبي حفص، وأخذ عنه جملة من المتون في فنون شتى، تقلد منصب التدريس والفتوى بعد وفاة الشيخ أبي حفص، له شرح على مختصر خليل، كما له عدة منظومات في الفقه والتوحيد، توفي في(1775م)[2].

- الشيخ الزجلاوي(ت1212/1797م):هو الشيخ الإمام المقدم الهمام السيد محمد ابن العالم الزجلاوي من آل سيدي علي حنين الأنصاري نسبا التواتي منشأ ودارا، أخذ عن الشيخ سيدي عبد الرحمن بن عمر التنلاني، فكان بحرا ذاخرا لا يقاس بمكيال، ألف تأليف عديدة وتحاور مع علماء الأجلة، فمن تأليفه الشهيرة:"ألفية في الغريب القرآن" و"نوازل الزجلاوي" توفي في شوال1212هـ.[3]

- عمر بن عبد الرحمن(ت1221هـ/1806م): هو ابن عمر بن عبد القادر التينلاني، ولد بقصر تيلان وتتلمذ على الشيخ محمد بن عبد الله الونقالي، بنى زاوية له بالمهدية، وحبسها على ابن السبيل، وكان برأس ركب الحجيج من توات فحج سبع مرات متوالية، تولى أمر الفتوى بعد وفاة الشيخ سيدي عبد الحق عبد الكريم البكري، توفي سنة15جماد الأول بصحراء التي بين أولف و تيطاف سنة1221هـ[4].

- محمد بن عبد الرحمن بن عمر التينلاني(ت1233هـ/1817): من قرية تيلان وصف بالعلم

---

[1]- أنظر: محمد عبد العزيز سيد عمر، المرجع السابق،ص ص111-113.

[2]- محمد صالح حوتيه، المرجع السابق،ص227.

[3] - محمد عبد العزيز سيد عمر، المرجع السابق، ص123.

[4] - عبد الرحمن بن حسان، المرجع السابق، ص37.

والتقوى والجهاد، أخذ العلم عن والده عبد الرحمن بن عمر وعن الشيخ أحمد بن عبد العزيز الهلالي(ت1761م) وهو شيخ أبيه أيضا، تصدر للتدريس والفتوى، فأخذ عنه جملة من الفقهاء بالإقليم، كالشيخ محمد بن عبد الرحمن البلبالي(ت1244هـ/1828م) والشيخ محمد بن عبد العزيز البلبالي(ت1261هـ/1845م)والشيخ محمد بن عبد الملك القبلاوي، عرف بكثرة النسخ للكتب واعتنائه بالكتابة أقام مدة بزاوية "كرزاز" وأصيب بالعمى في آخر عمره ومع ذلك كانت فتاوي مقدمة عند علماء عصره، له تقاييد وفتاوى فقهية وردت في كتاب"نوازل الغنية"توفي في 1233هـ[1].

ومما سبق نستنتج:- أن توات مثلت نقطة ربط مفصلية في ربط العلاقات العلمية والحضارية بين بلاد المغرب والسودان وذلك لأنها كانت معبر للقوافل التجارية كما ذكرنا، وهذا ساعد بقدر كبير على انتعاش الحركة العلمية في توات وربط صلاتها بالحواضر المجاورة لذلك كان القرن18م عصر ازدهار الثقافي لإقليم توات وذلك من خلال حضور عدد كبير من العلماء.

كما أن الزوايا في توات عرفت أوج عزها خلال القرنين(12هـ و13هـ/18م و19م)وقد ساهمت في إحياء الحركة العلمية في كل من توات وغرب أفريقيا ليصل إشعاعها الصوفي في توات وما جاورها داخليا وخارجيا، ساهمت في المحافظة على والهوية العربية الإسلامية.

وعلى ضوء تراجم الشخصيات السابقة لعلماء توات يمكننا تحديد مظاهر الحياة الثقافية والاهتمامات العلمية السائدة في الإقليم خلال ق18م، فقد تميزت بكون علماء توات يطلبون العلم من المناطق العربية ويهتمون بالجانب العلمي للعلوم الدينية ويعود هذا النشاط الى الوضع السياسي السائد خلال تلك الفترة كونه لم يكن خاضع لقوانين سياسية التي تحول دون التنقل لطلب العلم، كما أن عدم خضوع توات لدولة العثمانية ساهم بشكل كبير في حفاضها على أصول اللغة العربية الأصيلة وهذا مميز طلاب وعلماء توات عن غيرهم.

[1]- عبد الرحمن بن حسان، المرجع السابق ، ص ص45-46.

الخـاتـمة:

إقليم توات، هو إقليم مترامي الأطراف، المتباعد، الفسيح أرجاء، مهوى استقرار للتجار والعلماء قديما وحديثا، عرفت عدة حضارات، وثقافات، ولغات، تعاقبت عليها فشكلت بها تنوع فكري حضاري، جعلته ملتقى لتعدد الثقافات في الصحراء الكبرى وتعد فترة القرن18م من أهم الفترات التاريخية التي مرّ بها الإقليم لأنه عصر الازدهار من الجهة الثقافية وتراجع في دور القوافل التجارية من جهة أخرى لنستنتج في الأخير أن منطقة توات كانت مأهولة منذ القدم رغم مناخها القاسي الجاف وظروفها الطبيعية الصعبة لم يمنع ذلك من إنشائها لعلاقات مزدهرة بين الأقاليم المجاورة من الشمال والجنوب وذلك راجع لعدة أسباب منها التي وصلنا بها من دراستنا لهذا الموضوع والمتمثلة في:

-أن لإقليم توات العمق الإستراتيجي للجزائر في إفريقيا، حيث تربط الصحراء بالحواضر المحيطة بها خاصة مع السودان الغربي، وبحكم هذا الموقع أدى لازدهار حضاري واقتصادي، تكيفت معه تركيبتها السكانية .

- رغم تعدد واختلاف المؤرخين حول أصل تسمية توات وإرجاعها لتفسيرات تاريخية ولغوية، إلا أن الراجح أن أصل التسمية هو بربري لكونهم أول من قطن بالمنطقة وأعطى تسميات لقصورها أي قبل خضوعها لأي دولة وبذلك نفند الدراسات التي ربطت التسمية بالاتاواة.

- لقد كان لهذا الإقليم أهمية كبيرة منذ الفتح الإسلامي ولذلك نجد الكتابات التاريخية سواء المغاربية أو المشرقية تحدثت بإسهاب عن هذا الإقليم وهذا ما يؤكد أن هذه المنطقة رغم قساوة الطبيعة إلا أنها شكلت منطقة تجمع سكاني كبير من جميع الطبقات والأصول العرقية وهذا هذا ما أكسبها قيمة تاريخية.

- رغم عدم خضوع توات للحكم العثماني وهو ماكان سائد في المغرب الأوسط باعتبارها جزء ، وخضوعها لحكم السعديين والعلويين بالمغرب الأقصى إلا أنها بقيت محافظة على سلطتها الفردية القبلية على إقليمها وهذا اكسبها نوع من البعد عن الصراع القائم بين هذيه القوانين واكسبها الأمن والاستقرار لجذب التجار والعلماء من الأقطاب المجاورة.

– استفاد أهل توات منذ تاريخهم المبكر من موقع إقليمهم الذي يتوسط تجارة الصحراء فربطوا أسواق شمال المغرب الإسلامي بأسواق السودان الغربي عن طريق القوافل التجارية، أي أنها كانت همزة وصل في عملية التبادل التجاري، كما أنها تعتبر نقطة عبور الحجاج وهذا مزاد في تنشيط تجارة توات، إن التواتيون استفادوا من التجار الصحراء، بفضل موقع إقليمهم مما جعل أسواق توات بمثابة نقطة التقاء وتجميع للقوافل التجارية العابرة للصحراء في نصفها الغربي.

– لقد كان لتجارة الداخلية والخارجية دور كبير في فك العزلة وربط توات بالمحيط الحضاري الذي كان في تلك الفترة إذ شكل هذا الترابط نوع من التواصل بين الإقليمين الشمالي والجنوبي

– تمثلت المتبادلات التجارية في إقليم توات بالحفاظ وتطوير المنتوج المحلي المتوفر مع تصديره وجلب المواد المتوفرة في الأقاليم المجاورة خاصة بلاد السودان الغربي إذ كان لتجارة الذهب والملح والعبيد دور كبير في ازدهار التجارة في الإقليم.

– لكن رغم هذا التطور الاقتصادي في جانب التجارة في بداية القرن 18م سرعان متراجع تدريجيا في نهاية هذا القرن، وذلك بسبب ظهور الأطماع الأوربية به، بدأت تجارة هذه المناطق تسلك طريق السواحل بغرب إفريقيا ومنها لأوربا.

– أن توات مثلت نقطة ربط مفصلية في ربط العلاقات العلمية والحضارية بين بلاد المغرب والسودان وذلك لأنها كانت معبر للقوافل التجارية كما ذكرنا، وهذا ساعد بقدر كبير على انتعاش الحركة العلمية في توات وربط صلاتها بالحواضر المجاورة لذلك كان القرن18م عصر ازدهار الثقافي لإقليم توات وذلك من خلال حضور عدد كبير من العلماء.

– توفر الإقليم على عدة مرافق منها مساجد وزوايا التي كانت تضمن لعابري السبيل والحجاج والطلبة الوافدين، وتوفرها على الأسواق التي أخرجتها من عزلتها وسط الصحراء العميقة، أيضا التركيبة الاجتماعية المتنوعة لإقليم جعل منها سوق استهلاكية تتسع أكثر فأكثر وبالتالي التنوع في جلب المنتجات والتنافس الكبير لتوفيرها في المنطقة.

– اهتمام أهلها بالعلماء والعلم ومحاولة التواصل معهم ما جعل بعضهم يأخذ على عاتقه مهمة

نشر العلم والإسلام في مناطق الصحراء الكبرى خاصة السودان الغربي.

-كما أن الزوايا في توات عرفت أوج عزها خلال القرنين(12هـ و13هـ/18م و19م)وقد ساهمت في إحياء الحركة العلمية في كل من توات وغرب أفريقيا ليصل إشعاعها الصوفي في توات وما جاورها داخليا وخارجيا، ساهمت في المحافظة على والهوية العربية الإسلامية.

-وعلى ضوء تراجم الشخصيات السابقة لعلماء توات يمكننا تحديد مظاهر الحياة الثقافية والاهتمامات العلمية السائدة في الإقليم خلال ق18م، فقد تميزت بكون علماء توات يطلبون العلم من المناطق العربية ويهتمون بالجانب العلمي للعلوم الدينية ويعود هذا النشاط الى الوضع السياسي السائد خلال تلك الفترة كونه لم يكن خاضع لقوانين سياسية التي تحول دون التنقل لطلب العلم، كما أن عدم خضوع توات لدولة العثمانية ساهم بشكل كبير في حفاضها على أصول اللغة العربية الأصيلة وهذا ماميز طلاب وعلماء توات عن غيرهم.

الملاحـق:

الملحق رقم(01): خريطة توضح أقاليم توات الولاية الثالثة [1]

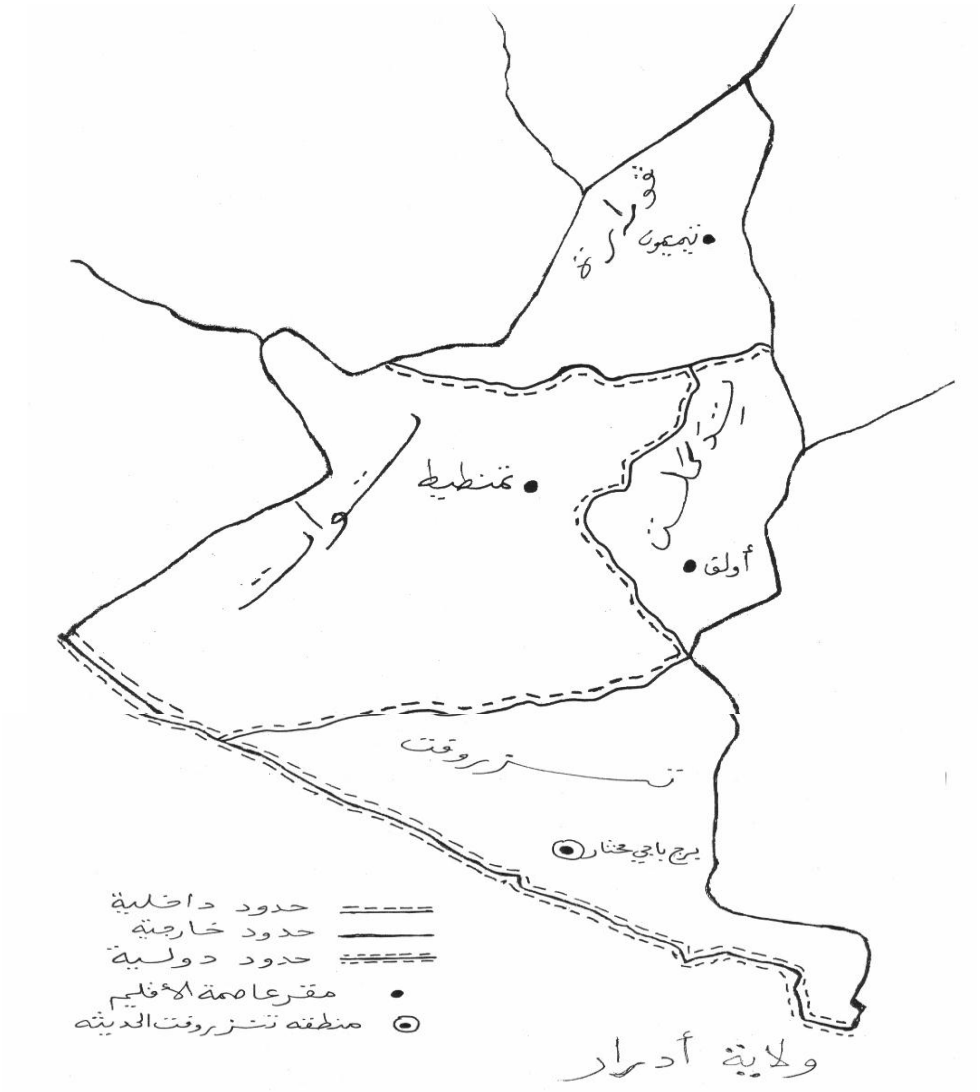

- أقاليم الولاية الثلاثة بالاضافة إلى منطقة (تنزروفت) التي ضمت للولاية حديثا

[1] - أحمد جعفري، المرجع السابق، ص121.

الملحق رقم(04):**خريطة العلاقات الثقافية بين الإقليم والأقاليم الأخرى**[1]

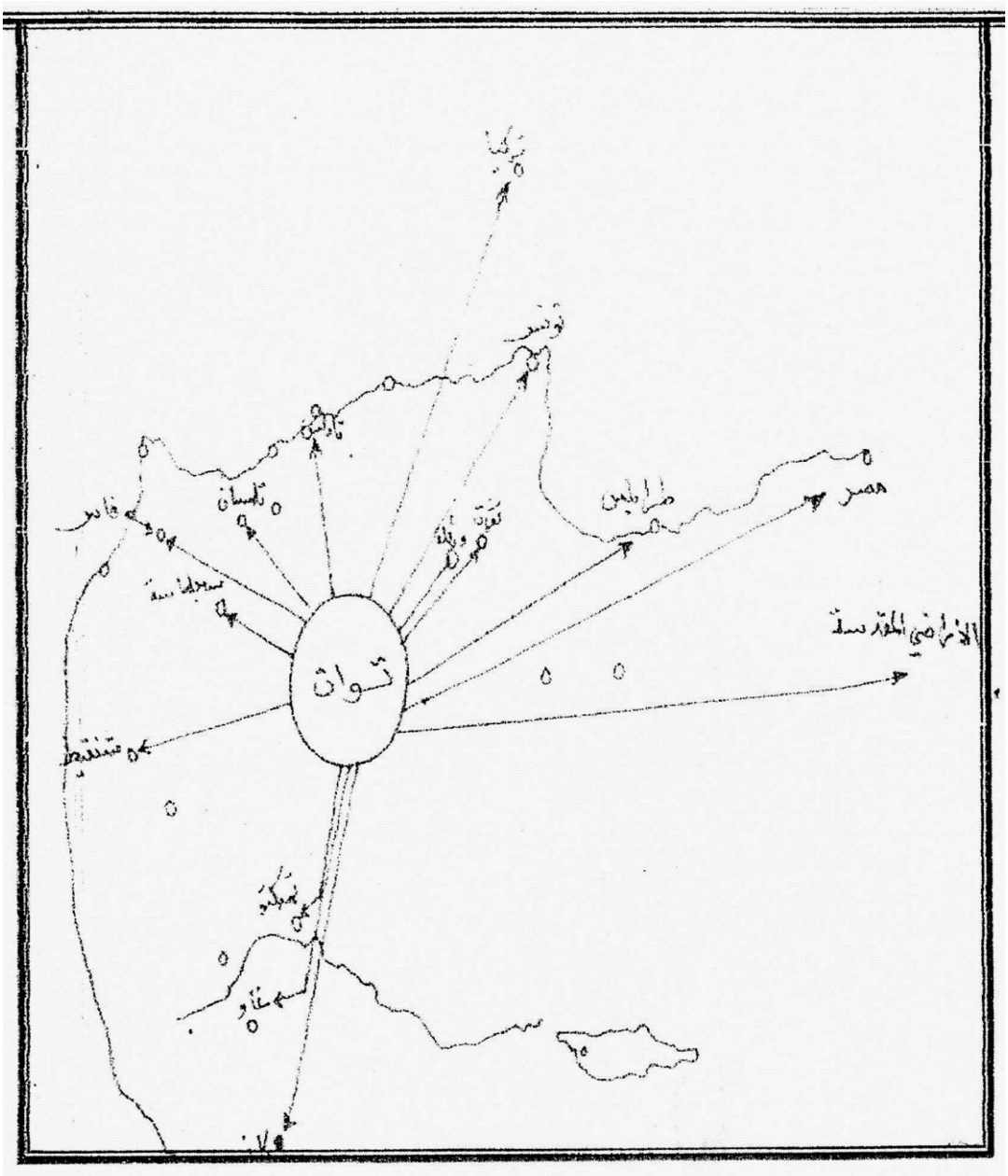

[1] – صديق الحاج احمد، المرجع السابق، ص168

الملحق رقم(02): خريطة توضح الطرق التجارية[1]

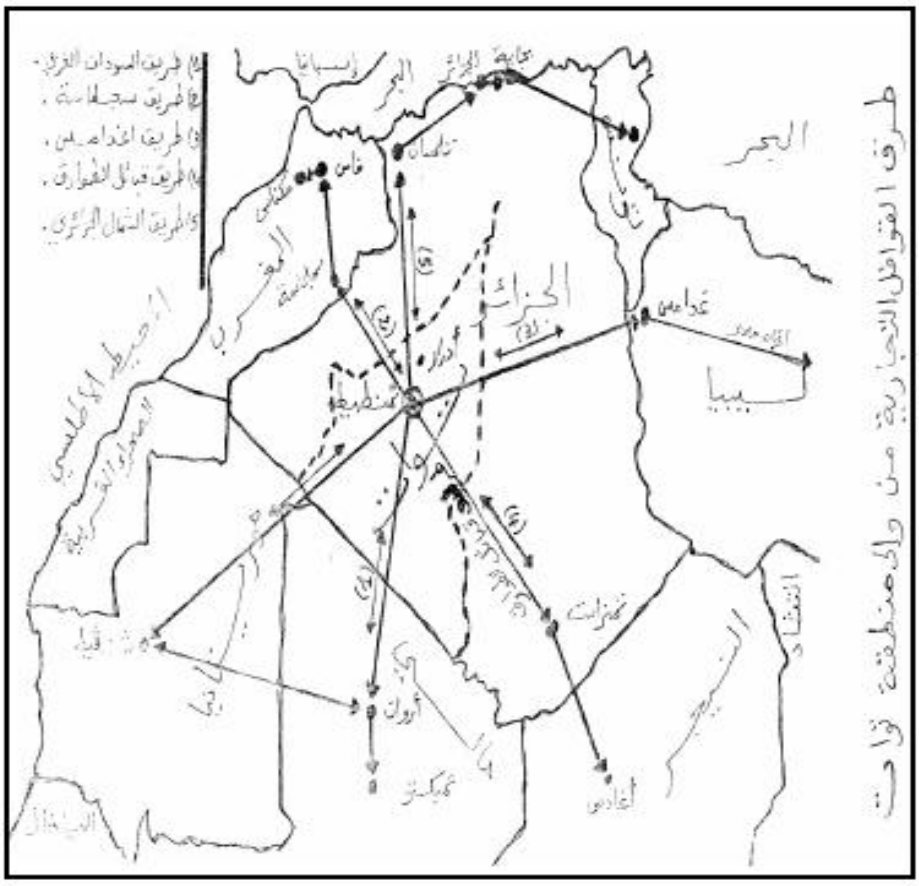

[1] – طموز عبد الكريم، **تحقيق فهرست شيوخ سيدي عمر بن الحاج عبد القادر التلاني تواتي(ت1739هـ)**، مذكرو ماجستير، كلية علوم إنسانية واجتماعية، قسنطينة،(2009م-2010م)، ص133.

الملحق رقم(03): خريطة توضح أهم الأسواق[1]

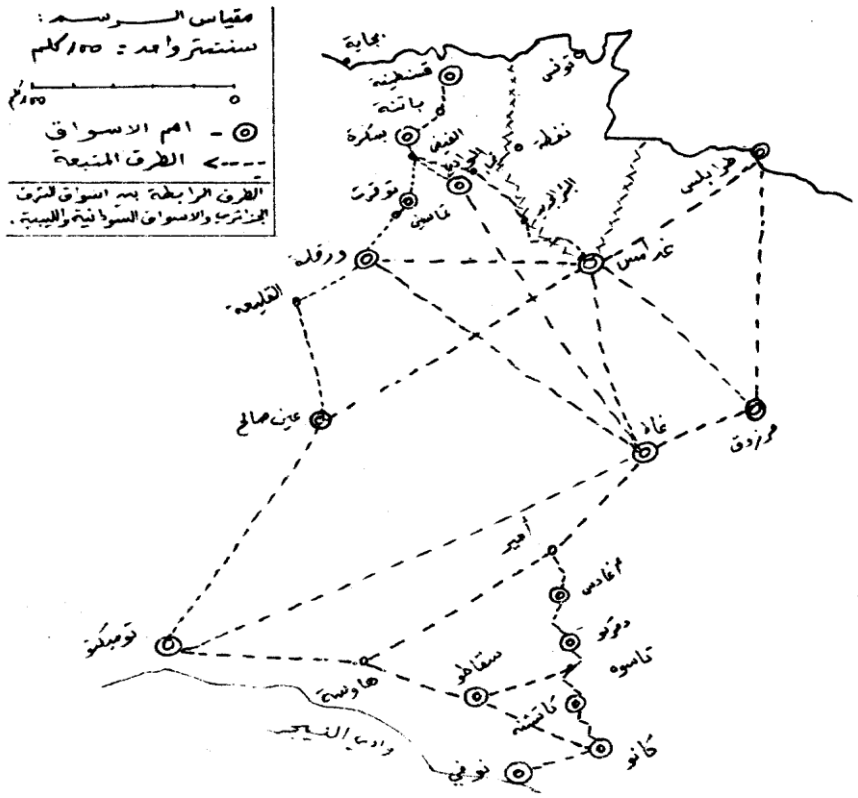

[1] زبيري محمد العربي، **التجارة الخارجية للشرق الجزائري**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1982م،ص185.

الملحق الرقم(05):أهم الزوايا في توات[1]

اسم الزاوية	مكان الزاوية	مؤسسها	تاريخ تأسيسها	أهم أنشطتها	وضعها الحالي	ملاحظات
زاوية مولاي سليمان بن علي	أولاد أوشن أدرار	الشيخ مولاي سليمان بن علي	7هـ/13م – 6هـ (550هـ)	التعليم / الإطعام / الصلح	عاطلة	هو تلميذ السيد علي بن حرزهم أو يكون قد أسس طريقة صوفية
زاوية الشيخ	بوعلي زاوية الكنتة	السيد محمد بن عبد الكريم المغيلي	10هـ/16م	التعليم/الإطعام/الجهاد/الصلح		
زاوية تيلان	تيلان بلدية أدرار	السيد بن يوسف	1058هـ/1648م	التعليم/الإطعام/الصلح/الورد	عاطلة	لهذه الزاوية أملاك محمية وموزعة على أيام الأسبوع كل جزء يعرف بيوم مزايا ورد الطريقة القنتسية الزيانية
زاوية سيدي عبد القادر	زاوية سيدي عبد القادر قنوغيل أدرار	السيد عبد القادر بن عمر	11هـ/17م	التعليم/الإطعام/الصلح/الرحلات	عاطلة	
زاوية الكنتية	زاوية الكنتة أدرار	السيد أحمد بن محمد الرقادي	11هـ/17م	التعليم/الإطعام/الصلح/الورد	نشطة	تم إحداثها من جديد الحفيد السيد الحاج أحمد الكنتي تنظيم احتفالات المولد النبوي الشريف
زاوية سيد عمر	زاوية سيد عمر أوقرورت الشامي	السيد عمر بن صالح الشامي	10هـ/16م	الإطعام/الصلح	نشطة	توفي سنة 1008ه
زاوية سيد الحاج بلقاسم	زاوية سيد الحاج بلقاسم	سيدي الحاج بلقاسم بن صالح الشامي	10هـ/16م	التعليم/الإطعام/الصلح/ركب الحجيج	نشطة	تنظم سنوياً احتفالات بمناسبة المولد النبوي
زاوية سيدي موسى والمسعود	تاملوت جرارة	سيد موسى والمسعود	10هـ/16م	التعليم/الإطعام/الصلح	نشطة	
زاوية الحاج أبو أمحمد	تاملوحت جرارة	سيد الحاج أبو أمحمد	11هـ/17م	التعليم/الإطعام/الصلح	نشطة	
زاوية الحاج الصوفي	بتاريان جرارة	سيد الحاج الصوفي	11هـ/17م	التعليم/الإطعام/الصلح	نشطة	أحد المنظمة تنظيماً محكماً ومحدداً في وثيقتها، الحاج الصوفي هو ابن سيد الحاج أبو أمحمد
زاوية سيد عمر أو بن عمر	زاوية سد عمر بودة	السيد أمحمد بن عمر	11هـ/17م	التعليم/الإطعام/الصلح ورد سيد أحمد بن موسى الكرزازي	نشطة	
زاوية سيد الحاج أو الغيث	تاملوحت جرار	السيد الحاج أبو الغيث	11هـ/17م	التعليم/الإطعام/الصلح	نشطة	
زاوية سيد أمحمد عبد الله	قنيس جرارة	سيد أمحمد عبد الله	11هـ/17م	التعليم/الإطعام/الصلح	نشطة	
زاوية سيد علي بن حنيني	زلطو زاوية الكنتة	سيد علي بن حنيني	12هـ/18م	التعليم/الإطعام/الصلح	نشطة	هي إحدى كبريات الزوايا التوتية لا تزال قائمة بجميع مهامها رغم تغير العصر

[1]- أحميدة زيطة، **الهيكل التنظيمي والوظيفي للزوايا بمنطقة توات**، الملتقى الأول للزوايا، الجزائر، وزارة الثقافة، مديرة القافية لولاية أدرار، (ماي2000م)، ص24.

الزاوية البكرية	زاوية سيد البكري + تمنطيط	سيد البكري بن عبد الكريم	1112هـ/1700م	التعليم/الإطعام/الصلح ورد خاص	نشطة	للسيد البكري عدة زوايا كبيرة وله ورد خاص
الزاوية المهدية	مهدية بلدية أدرار	السيد محمد بن عبد الرحمن التنلالي	12هـ/18م	التعليم/الإطعام/الصلح الرحلات الحجازية	نشطة	جدد نشاطها بفضل فقيهها سيد عمر عبد العزيز حفيد المؤسس
زاوية ملوكة	ملوكة أدرار	السيد محمد بن عبد الرحمن البلبالي	12هـ/18م	التعليم/الإطعام/الصلح	عاطلة	بقيت مكتبتها فقط.
زاوية مولاي هبة (هبة	زاوية مولاي هبة أولف	السيد أبي الأنوار بن عبد	12هـ/18م	التعليم/الإطعام/الصلح	قائمة	السيد أبو الأنوار بن عبد الكريم
زاوية سيدي أبي نعامة	زاوية سيد أبي نعامة أقبلي	السيد أمحمد بن عبد الرحمن (أبي نعامة)	12هـ/18م	التعليم/الإطعام/الصلح الرحلات الحجازية	قائمة	السيد محمد باي بلعالم يقوم بدور زاويا أولف من حيث التدريس
زاوية الرقاني	زاوية الرقاني (رقان)	السيد مولاي عبد الله الرقاني	12هـ/18م	التعليم/الإطعام/الصلح الورد القندسي	قائمة	يقوم بتسيرها وتنشيطها الفقيه حفيد السيد الرقاني تقوم بالطريقة الزيانية
زاوية أولاد سيد الحبيب	المحارزة سالي	السيد مولاي عبد الله الرقاني	12هـ/18م	التعليم/الإطعام/الصلح	قائمة	
زاوية مراقن	مراقن أدرار	السيد مومن	12هـ/18م	التعليم/الإطعام/الصلح	قائمة	
زاوية سيدي حيدة	زاوية سيدي حيدة بودة	السيد أحمد (حيدة)	12هـ/18م	التعليم/الإطعام/الصلح	قائمة	
زاوية كوسام	كوسام أدرار	السيد عبد الله بن أحمد الحبيب	13هـ/19م	التعليم/الإطعام/الصلح	قائمة	تم إحياؤها وأعيد تنشيطها ت تطورها بفضل شيخها الشاب النشط السيد الشاري الحاج الطيب وهذه الزاوية الأم (زاوية ملوكة)

ملاحظة: 1- عدد الزوايا أعلاه لا يعني كل الزوايا التواتية بل يوجد أكبر من هذا.

2- بعض القرى التواتية على أساس الزاوية أسست وأن جل أملاكها محبسة على نفس الزاوية.

3- بعض القرى الزاوية تسمى وتعرف بالزاوية كذا إلى وعددها أكثر من 15 منها: زاوية كنته/الرقاني/سيد البكري ..الخ.

4- توجد بالولاية بعض فروع زاويا طرفية (القادرية – الموساوية – الزيانية – الطيبية – التيجانية – الصادقية ..الخ).

البيبليوغرافيـا:

المخطوطات :

1- الزجلاوي أبو القاسم، نوازل الزجلاوي، خزانة كوسام، أدرار.

2- الطاهري احمد، نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات ومن دفن بها من الأولياء الصالحين والعلماء التقات، مخطوط بخزانة المدرسة الطاهرية،كوسام(أدرار).

المصادر:

1. -أبا عبد الله ابن الخطيب، الحلل الموشية في أخبار المراكشية،(د.م)،(د.ت).

2. أبو سالم العياشي، ماء الموائد، مطبوعات دار الغرب للتأليف والترجمة، المغرب، 1977م.

3. أبو الفارس القشتالي، مناهل الصفا في مآثر مولنا الشرفاء، تحقيق: عبد الكريم،مطبوعات وزارة الأوقاف، الرباط، (د.ت).

4. -أبو عبد الله محمد الأنصاري الرصاع، فهرست الرصاع،تحقيق: محمد العنابي،المكتبة العتيقة، تونس، 1976م.

5. أبو عبيد البكري،المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،دار السعادة، مصر، 1906م.

6. أبو عبيد البكري ،المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992م.

7. أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة الثعالبي،الجزائر،1906م .

8. ابن بطوطة محمد بن عبد الله، تحفة النظار في غرائب الأمصار، المكتبة التجارية، مصر، 1958م.

9. ابن الحوقل أبو القاسم ،صورة الأرض ،منشورات دار مكتبة الحياة ،بيروت ،1996م.

10. -ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، دار صادر، بيروت، 2005م.

11. ابن خلدون عبد الرحمن،كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، ط1، دار الكتاب العلمية، لبنان، 1992م.

12. -بن الحاج عبد الرحيم محمد الطيب(ابن بابا حيدة)، القول البسيط في أخبار تمنطيط، تحقيق:فرج محمود فرج، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977م.

13. بن عبد الله الحموي شهاب الدين (ياقوت الحموي) ، معجم البلدان دار الصادر ، بيروت ،1988م.

14. -بن محمد المقري أحمد، روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيه من الأعلام الحاضرتين، ط2، المطبعة الملكية، مراكش وفاس، 1984م.

15. بن محمد المقري أحمد،نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق:إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968م.

16. بن عمر التونسي محمد، تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، تحقيق: محمود عساكر ومصطفى مسعد، مراجعة: محمد مصطفى زيادة، ط1، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، مصر، 1898م.

17. الوزان حسن، وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1983م.

18. السعدي عبد الرحمن، تاريخ السودان، مطبعة بيردن،(د.م)،1898م

-المراجع :

1-آدم عبد الله الألو ري، الإمام المغيلي وأثاره في الحكومة الإسلامية في القرون الوسطى في نيجيريا، دار الحلبي، مصر، 1974م.

2-آدم عبد الله الألو ري، الإسلام في نيجيريا، ط3، (د.ن)، القاهرة، 1978م.

3-أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1986م.

4-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م.

5- بالعالم محمد باي، الرحلة العلية الى منطقة توات لذكر الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من جهات، دار الهومة، الجزائر، 2005م.

6-بالعالم محمد باي، الغصن الداني في ترجمة الشيخ عبد الرحمن بن عمر التيلاني،(د.ن)، الجزائر، 2004م.

7- بالعالم محمد باي ، قبيلة فلان في الماضي والحاضر، دار الهومة، الجزائر، (د.ت).

8- بوعزيز يحي، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر الحديث، دار الهدى، الجزائر، (د.ت).

9- بوعزيز يحي، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع ق16م الى مطلع ق20م، دار الهومة، الجزائر، 2001م.

10- بن عبد العزيز عبد الله، الرحلات من المغرب وإليه عبر التاريخ، ط1، دار النشر المعرفة، المغرب،2001م.

11- جوان، الإسلام في وإمبراطوريات إفريقيا السوداء، ترجمة: مختار يوسفي،ط1، دار الكتاب اللبناني، 1984م.

12- حوتيه محمد صالح، توات والأزواد،ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007م.

13- محمد الفلاتي الطيب عبد الرحيم، الفلاته في إفريقيا ومساهمتهم الإسلامية والتنموية في السودان، ط1، دار الكتاب الحديث، بيروت، 1994م.

14- محمود أحمد حسن، الإسلام في ثقافة العربية في إفريقيا، مدبولي، مصر، 1963م.

15- مقدم مبروك، الإمام المغيلي التلمساني، مؤسسة الجزائر للكتاب، تلمسان، 2002م.

16- مروش المنور، العملة الأسعار والمداخيل دراسات عن الجزائر خلال العهد العثماني، دار القصبة للنشر، الجزائر،2009م.

17 -سعيدوني نصر الدين، النظام المالي في الفترة العثمانية(1800م-1830م)، المطبوعات الجامعية، الجزائر،1979م.

18- عواطف يوسف، الرحلات المغربية والأندلسية، مكتبة فهد، الرياض، 1996م.

19- عبد الله كروم، الرحلات بإقليم توات، دحلب، الجزائر، 2007م.

20- عمر محمد عبد الله سيد، قطف الزهرات من أخبار علماء توات، مدرسة سيدي البخاري، الجزائر، 2002م.

21- فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ميلاديين، ديوان المطبوعات الجامعية والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1977م.

22-الصديق الحاج أحمد، التاريخ الثقافي لإقليم توات من قرن(11هـ-14هـ/17م-20م)، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2003م.

23- الدالي هادي مبروك، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء(نهاية ق15م وبداية ق19م)، ط1، الدار المصرية اللبنانية، مصر ولبنان، 1999م.

المراجع الأجنبية:

1. -Jocob Oliel.les juifs au sahara.le Touat au moyen age.parisCNRS Edition.(S.D).
2. -Louis Voinot. « le Tidikelt étude sur la géographie l'histoire et le mœurs du pays » .Bulletin de société de géographie et d'archéolegie de la provience d'Oran (s .d) .T.291909.

3- Mechel Fontenay ,Routes et Modalités du commerce deseclaves dans la Méditerranée des temps moderns, presses universitaires de France ,paris,(s.d).

-الموسوعات:

1- بطرس البستاني، دائرة المعارف، دار المعرفة، لبنان،(د.ت).

2- الحفني عبد المنعم، الموسوعة الصوفية، ط1، مكتبة مدبولي، مصر، 2003م.

3- عبد الله بن عبد العزيز، الموسوعة المغربية للأعلام الحضارية والبشرية، الرباط، (د.ن)،1976م.

4- سليمان طيب محمد، موسوعة القبائل العربية، ط2، دار الفكر، مصر، 1997م.

5- شلبي أحمد، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ط1، مكتبة النهضة، مصر، 1999م.

- المجلات والملتقيات:

1. بوالصفصاف عبد الكريم، التصوف مفاهيمه وأبعاده، ملتقى الدولي11، جامعة أدرار،2008م.
2. بوعزيز يحي، طرق القوافل التجارية بالصحراء الكبرى كما وجدها الأوربيون خلال ق19م، مجلة الثقافة، عدد 59، 1980م.
3. بوسليم صالح، مؤسسة الزوايا بإقليم توات خلال القرنين(12هـ-13هـ/18م-19م)، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، عدد09، 2010م.
4. بوسليم صالح، الحياة الثقافية في توات بالجزائر خلال القرنين18م و19م، المجلة التاريخية المغاربية العهد الحديث والمعاصر، عدد131،تونس، مارس 2008م.
5. بقادر عبد القادر، جهود علماء توات في الدرس اللغوي خلال القرنيين 12هـ و13هـ، مجلة الآثر، عدد19، 2014م.
6. جعفري أحمد، العلاقات الفكرية و الثقافية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي، مجلة كان، عدد09، 2010م.
7. مزين محمد، المغرب الإسلامي وبلاد السودان الغربي خلال القرنيين16م و17م، مجلة المؤرخ، عدد16،(د.ت).
8. طوابة نور الدين، دور الصوفية في دعوة الشيخ عبد القادر الجيلاني نموذج، الملتقى الدولي11، جامعة ادرار، 2008م.

9. شتره خير الدين، المبادلات التجارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي، مداخلات الملتقى المشترك، (د.م)،د.ت).

-المذكرات الجامعية:

1- بن حسان عبد الرحمن، أدب الإجازة في إقليم توات إبان القرنيين 19م و20م،

2- بن عبد المومن بهية، الحياة الاجتماعية بإقليم توات خلال القرنيين 18م و19م(من خلال نوازل الغنية للبلبالي)، رسالة ماجيستسر، قسم الحضارة الإسلامية، وهران، 2006م.

3- زهرة مسعودي، الطرق الصوفية بتوات وعلاقتها بغرب إفريقيا من ق18م الى ق20م، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية والإسلامية، ادرار،(2009م-2010م).

4- سالمي زينب، الحركة العلمية في إقليم توات خلال قرون 8هـ -10هـ، مذكرة ماجستير في تاريخ الإسلامي، قسم تاريخ وعلم الآثار، جامعة تلمسان،(2011م-2012م).

5- العماري أحمد، توات في المشروع التوسع الاستعماري الفرنسي بالمغرب، رسالة ماجستير، جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس، كلية الآداب والعلوم إنسانية،1988م.

فهرس الأمـاكن:

(أ)

- أوقرت:25/24/21/8/10.

- أنزجمير:23/19/15/12.

- أدرار:/34/33/31/14/13/12/10.

-أولف:/65/26/25/24/22/21.

- أوران:52/31/29.

- أقبلي:61/58/56/31/30/27/29.

- الأغواط:61/30/29/27.

- أدغست:39/36.

-أوليل:36.

(ب)

- بلاد السودان:79/62/52/64/37/36/32/30/25/16/15/19/18/5.

- بودة:61./18/19/30/28/17/16/15/10/12/11/9/8/7

- بوفادي:/13/11/9.

– برنو:55/53/54/50/39/31.

– بجاية:26.

– البيض:35/15.

– بسكرة:23/20

(ت)

– تافيلالت:36/57/59/35/33/18/24/29/21/20.

تونس:18/21/ 20/23/26/28/29/36./ 34/61/64.

– تلمسان: 59/55/51/50/.49/40/26/21.

– توات: 6/.5/7/8/9/10/11/13/14/15/

16/17/18/19/20/22/29/30/1/32/

33/35/36/37/38/39/40/41/48/49

50/51/52/54/55/56/58/59/60/61/

63/65/66/67.

– تمبكتو:26/29/39/42/51/52/53/28/40/27/54/55/62.

– تيميمون:25 /22/28/31/33/37/52.

–تيدكيلت:5/7/ 6/ 10/21/22/28/32/34.

– تنجورارين:5/6/20/21/22.

– تمنطيط:.7/10/12/17/22/28/31/59/60./61/63.

- تندوف:28/27/10.

- تبلكوزة:21/24/15/.

- ترنكوك:.23/ 24/20.

-تسابيت:32/30/22/20/16/12/8.

- تيمي:24/20/19/18/13/12/11/10.

– تكرور:57/55/52/51/50/21/13.

(ج)

- الجزائر:59/50/40/27 /26/24/ 34/29/28/25/6.

(س)

سودان:58/57/56/55/50/46/41/40/39/36/34/32/30/29/28/26/19/18/7/

68/64/61.

- سنغال:56/55/37.

- سجلماسة:19/ 33/17 /50/51/36/25/.

(ش)

- شنقيط:57/33.

(ع)

- عين صالح: 62/58/37/36/34/30/28/27/22/29.

(غ)

- غات: 44/34.
- غدامس:36/34/27/25/19.
- غانا:44/36.
- غرداية:31/37/35/.

(ف)

- فاس:64/59/27/18 /20.

(م)

- متليلي:/23./ 25/21
- المنيعة:33/31/27.
- المشرية:37/35/31/27.
- مصر :64/59/51/50/30/27/25
- مالي:49/56/51/39/35/25/18/15.
- موريتانيا:25
- مغرب أقصى: 60/50/46/43/32/24/25.
- مراكش:36/27/7
- مكناس :26

(ن)

- نيجر :56/55/26.

فهرس الأعـلام:

(أ)

-أبا القاسم التواتي: 56.

-أحمد بن هشام العموري:25/52/ .

-أحمد ابن أبي محلى السجلماسي: 50.

- أحمد بابا التمبكتي:50.

- أحمد بن أحمد بن محمد المقري:50.

- أحمد الكنتي:55.

- أحمد زروق الفاسي: 58.

- أحمد بن موسى الكرزازي:58.

- أحمد بن يوسف الملياني:58.

-أحمد المجذوب:58.

- أحمد ادريس الطاهري: 9/20/5.

- أحمد بن عبد العزيز الهيلالي:65.

(أ)

- أبو بكر الحاج:55.

– أبو الحسن علي الشاذلي:57.

– أبو العباس أحمد بن محمد المختار التجاني:59.

– إبن خلدون:16/35/33/18.

– ابن بطوطة: 7/15/36

– ابن الحوقل:36.

– ابي الحفص:67/24.

– ابي عبد الله محمد السهلي:58.

– ابي بكر الصديق:57.

– ابي القاسم الجنيد:57.

– ابي مدين شعيب:62/57.

(ب)

- بكري بن عبد كريم:64/61/47.

- البكري:37/36.

(ح)

- حمزة بن بن حاج أحمد الشيخ مختار بن سيدي أحمد بن بالعالم:56.

- حسن الوزاني:30/16.

- حسون بن حاج محمد:12.

(س)

- سعيد قدورة:64.

(ض)

- ضيف الله بن محمد بن أب المزمري:51/49.

(ط)

- طيب بن سيدي محمد الوزاني:60.

- طيب بن عبد الله بن سالم البلبالي:20.

(ع)

- عبد الله بن جعفر بن أبي طالب:20.

- عبد الله الرقادي:61.

- عبد الله بن أحمد الفلاني

- عباس بن أبي طالب:19/22/.

- عبد الرحمن بن ابراهيم التواتي :65

- عبد الرحمن الثعالبي :51

- عبد الرحمن الجنتوري : 51

- عبد الرحمن السعدي : 54/13

- عبد الرحمن السكوتي : 56

- عبد الرحمن بن أحمد بن موسى : 58

- عبد الرحمن بن عمر التسلاني : 48/،50، 49/65،/51

-عبد الحق بن عبد الكريم المريني :53،68

- عبد السلام بن مشيش :59

- عبد العالي بن أحمد بن عبد الرحمن :65

- عبد القادر بن محمد : 58

-عبد الكريم بن أحمد بن أبي محمد التمنطيطي :50

- عبد الكريم بن محمد التواتي : 48، 50

- العياشي : 8/18/24/28 /33/

- عثمان بن فودة: 63

- عمر بن عبد الرحمان: 65

- عمر الفلاني : 63

- عمر بن محمد مصطفى بن أحمد الرقادي : 64

- عمر بن الشيخ أحمد البكاي : 61

- عمر الشيخ :55

- عمر الكنتي :50

- عمر بن عبد القادر التنلاني :5/50/47 /51

- عقبة بن نافع الفهري :56،16 ،57

- عبد الله بن احمد القبلاوي:49/51/52.

- عومر بن عبد القادر التنلاني : 59/65

(م)

- محمد الرصاع: 16.

(م)

- محمد بن مبارك:14.
- محمد بن عمر:14.
-محمد بن عب الكريم بن عبد الحق التمنطيطي: 15،19.
- محمد بن الطيب: 17/19.
- محمد بن صالح: 19.
- محمد الحشائشي:34.
- محمد بن عبد العزيز البلبالي:68.
- محمد بن عبد الملك القبلاوي:68.
- محمد بن عبد الكريم المغيلي:65/63/53/49
- محمد اسكيا:51.
- محمد بن سيدي مختار الكنتي:50.
-محمد بن أب المزمري: 64/51.
-محمد الجزلاوي:65/ 51/39/41./
- محمد الطاهر الفلاني:54.

(م)

– محمد بن كنتة بن زم: 54.
– محمد الكنتي:55.
- محمد البكاي:55.
– محمد حسن بن محمد بن حاج أحمد الفلاني:56.
– محمد بن عيسى الحنصالي:58.
– محمد بن عبد الرحمن السهلي:58
– محمد بن عبد الجبار بن أحمد:58.
– محمد بن عبد الله الجوزي:60.
- محمد بن عمر بوزيان:61.
– محمد بونعامة: 55/61
– محمد بن علي الوقروتي:64.
– محمد القاضي التواتي:66.
– محمد بن عمر البدوي:66.
- محمد صالح مقداد:64.

(م)

- محمد بن عبد الله الونقالي:65.

- محمد بن عمر بن عبد الرحمن التنلاني:65.

- محمد بن عبد الرحمن البلبالي:65.

- مختار الكنتي: 55/61

- محي الدين عبد القادر الجيلاني: 62.

(ي)

- ياقوت الحموي:36.

فهرس المحتويـات:

كلمة شكر

إهداءات

مقدمة

الفصل الأول: لمحة عن إقليم توات..... 5– 22.

المبحث الأول: منطقة توات طبيعيا وإداريا.....5– 13.

المبحث الثاني: جوانب تاريخية عن إقليم توات.....13– 17.

المبحث الثالث: التركيبية الاجتماعية..... 17– 22.

الفصل الثاني: العلاقات التجارية لتوات خلال ق18م.....24– 44.

المبحث الأول: تجارة العبور.....24– 29.

المبحث الثاني: تجارة الداخلية والخارجية..... 30– 44.

الفصل الثالث: العلاقات الثقافية لتوات خلال ق18م .....46– 66.

المبحث الأول: الحركة الثقافية لإقليم توات..... 46–66.

المبحث الثاني: الزوايا والحياة الثقافية.....47– 63.

المبحث الثالث: علماء توات خلال ق18م..... 64–66.

الخاتمة:..... 68– 70.

الملاحق :.....72– 77.

الببليوغرافيا:.....79– 84.

فهرس الأماكن:.....86– 90.

فهرس الأعلام:.....92– 96.

فهرس المحتويات:.....98– 99.